

٩٥٤ هـ شاكر
٢. شبه جزيرة العرب ١- غير ط. ٢. دمشق، المكتب
الاسلامي، ١٤٠٥ هـ ٢١٩٨
٢٧٧ هـ، خراط ٢٠٠٢ هـ. (دواخل بيروت الإسلامية -
في آسيا)

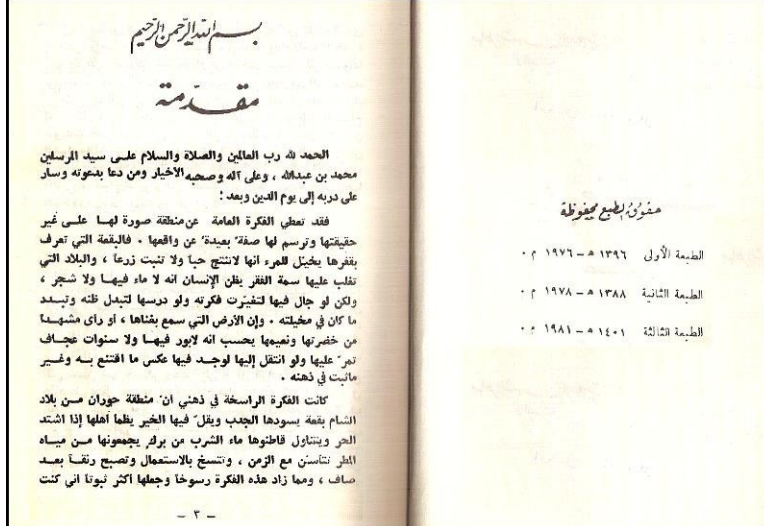
عسبار

المكتب الاسلامي

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

www.asirnet.net



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين
محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه الأخيار ومن دعا بدعوته وسار
على دبره إلى يوم الدين وبعد:

فقد تعطي الفكرة العامة عن منطقة صورة لها على غير
حقيقتها وترسم لها صفة بعيدة عن واقعها، فالبيئة التي تعرف
بقرها يكتل للبرء أنها لا تنتج حيا ولا تثبت زرعاً، والبلاد التي
تلقب عليها سمة النقر بظن الإنسان أنه لا ماء فيها ولا شجر،
ولكن لو جال فيها لتغيرت فكرته ولو درسها لتبدل ظنه وتبيند
ما كان في مخيلته. وإن الأرض التي سمع بشاها، أو رأى مشهداً
من خضرتها ونعيمها بحسب أنه لاور فيها ولا سنوات عجايف
نمر عليها ولو انتقل إليها لوجد فيها عكس ما افترض به وغير
مانت في ذهنه.

كانت الفكرة الراسخة في ذهني أن منطقة حوران من بلاد
الشماء بقعة سوداء الجذب ويقل فيها الخير يظلم أهلها إذا اشتد
الحر ويتناول قاطنوها ماء الشرب من بربر يجمعونها من مياه
المنظر تتناسل مع الزمن، وتتسخ بالاستعمال وتصبح رقتاً بعد
صاف، ومما زاد هذه الفكرة رسوخاً وجعلها أكثر ثبوتاً أنني كنت

- ٣ -

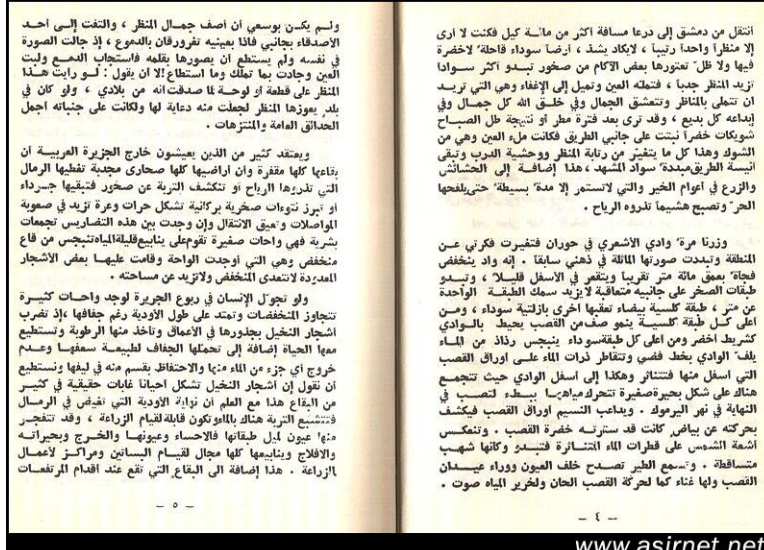
عنون الطبع بمخطوطة

الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٧٨ م

الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

www.asirnet.net



ولم يكن يوسعي أن أصف جمال المنظر، والتفت إلى أحد
الأصدقاء يجالسي فلان بعينه نفورفان بالدموع، إذ جالت الصورة
في نفسه ولم يستطع أن يصورها بفكره فاستجاب للمع ولبت
العين وجاءت بما تفكك وما استطاع إلا أن يقول: لو رايت هذا
المنظر على قطعة أو لوحة لما صدفته أنه من بلاد، ولو كان في
بلد يموهز المنظر لجعلت منه دعابة لها ولكانت على جنباته أجمل
الصدائق العامة والمنزهات.

ويعتقد كثير من الذين يعيشون خارج الجزيرة العربية أن
بقاعها كلها مقفرة وأن أراضيها كلها صحارى مجبدة نقيها الرمال
التي نذرها الرياح أو تنكشف التربة عن صخور فتيقها جرداء
أو أبرز توتوات صخرية بركانية تشكل حرات وعرة تزيد في صويرة
المواصلات وعميق الانتقال وإن وجدت بين هذه التضاريس تجمعات
بشرية فهي واجات صغيرة تقوم على إنتاج قليلة المياه تنجس من قاع
منخفض وهي التي أوجدت الواحة وفامت عليها بعض الأشجار
المعدودة لا تنمى المنخفض ولا تزيد عن مساحته.

ولو نتجول الإنسان في ربوع الجزيرة لوجد واحات كثيرة
تتجاوز التخلفات وتمتد على طول الأودية رغم جفافها، إذ تقرب
أشجار النخيل بجلورها في الأعمال وتأخذ منها الرطوبة وتستطيع
معها الحياة إضافة إلى تحملها الجفاف الطبيعية سفيها وعدم
خروج أي جزء من الماء منها والاحتفاظ بقسم منه في ليفها وتستطيع
أن تقول إن أشجار النخيل تشكل أجاباً غلات حقيقية في كثير
من البقاع هذا مع العلم أن نواذ الأودية التي يغرس في الرمال
فنتشيع التربة هناك بالبلل تكون قابلة لقيام الزراعة، وقد تفجر
منايايون لبل طقها بالاحياء ويعونها والخروج وبحيراته
والافلاج وتلصقها كلها مجال لقيام البساتين ومراكز لأعمال
الزراعة. هذا إضافة إلى البقاع التي تقع عند القدم المرتفعتات

- ٥ -

انتقل من دمشق إلى دوما مسافة أكثر من مائة كيل فكتلت لا أرى
إلا منظرًا واحدًا رتيبًا، لا يكاد يشد، أرضاً سوداء فاحلة لاخضرة
فيها ولا ظنّ تعتمرها بعض الآكام من صخور تبدو أكثر سوداء
زيد المنظر جمداً، فقلته العين ونجبل إلى الإنفاد وهي التي ترصد
أن تملي بالمنظر وتتمشق الجمال وفي خلق الله كل جمال وفي
إبداعه كل بديع، وقد نرى بعد فترة مطر أو نتيجة ظل الصباح
شوكات خضراء تبت على جانبي الطريق فكانت ملء العين وهي من
الشوك وهذا كل ما يتغير من رتبة المنظر ووحشية الدرب وتبقى
أنيسة الطريق مبددة سودا المشهد، هذا إضافة إلى الخشاش
والزروع في أعوام الخير والتي لا تستمر إلا مدة بسيطة حتى يلحقها
الحرق وتصبح هشيماً تذروه الرياح.

وإذا مررت وادي الأشعري في حوران فتغيرت فكري عن
المنطقة وتبدلت صورتها المائلة في ذهني سابقاً. إنه واد يتخلف
فجاةً بعين مائة متر تقريباً ويتغير في الأسفل قليلاً، وتبدو
طبقات الصخر على جانبيه متعاقبة لا يزيد سمك الطبقة الواحدة
عن متر، طبقة كلسية يضاء عليها أخرى بازلية سوداء، ومن
أعلى كل طبقة كلسية بنحو صف من القصب يجيد بالوادي
كشريط أخضر ومن أعلى كل طبقة سوداء بنحوس رذاذ من الماء
يلف الوادي يخط ففسي وتتقاطر ذرات الماء على أوراق القصب
التي أسفل منها فتتساقط وهكذا إلى أسفل الوادي حيث تتجمع
هناك على شكل بحيرة صغيرة تتحرك مياهها ببطء لتصب في
النهاية في نهر البرمود. ويغاب التسيم أوراق القصب فيكتف
بحركته عن يباغبر كانت قد سترته خضرة القصب. وتنعكس
أشعة الشمس على قطرات الماء المتناثرة فتبدو وكأنها شهب
متساقطة. وتسمع الطير تصيح خلف العين ووراء عيشان
القصب ولها غناء كما لحرارة القصب الحان ولغزير المياه صوت.

- ٤ -

www.asirnet.net

وتقوم فيها الزراعات والأراضي العالية التي تستفيد من كثرة الرطوبة والأودية التي تقوم بين الجبال وتفتقر فيها النباتات ، وأراضي هامة وواحات العارضي وسدير والوشم والقصيم ، ثم هناك الإفاده من المياه الجوفية الكثيرة التي خلفتها الطب الترابية المطيرة التي أصبحت تستخرج بواسطة المحركات الآلية أو تدفق مياهها من تلقاء ذاتها بسبب الضغط ومن الأرض هذه كلها بقاع كست أرض الجزيرة بالخضرة وأعطت الماء عليها صورة غير التي كانت في ذهنه وهو بعيد عنها وتستطيع أن تقول : إن أرض الجزيرة العربية فعلا بقاع صفراء ولكن فيها نقاطا وخطوطا خضراء تنسج وتزداد مع الزمن لتصبح جنتا .

وإذا كانت البلاد المعتدلة بحاجة إلى مناطق مرتفعة بهدف فيها الناس ويقضون فصل الحر فيها يتمتعون بمناخها الصديق ونسماها المنعشة وارتفاعها الشرف وروعة منظرها إذا كان هذا في البلاد المعتدلة كسويسره مصيف أوروبا ولبنان مركز اصطيف الشرق فإن البلاد الحارة هي أكثر حاجة إلى المصايف وسكانها أكثر رغبة في قضاء فصل الصيف في الارتفاعات المعتدلة المناخ والبقاع التي يطؤها سحر الطبيعة .

إن سكان الجزيرة العربية هم بأشد الحاجة إلى المصايف في بلادهم يقضون فيها فصل الحر اللافح ويتخلصون من وقت الصيف اللهب الذي يسوده الجفاف وتنتقل فيه أقل التجمعات مما يجعل الهواء خائفاً محبوساً . وفي الجزيرة بقاع مرتفعة في الغرب يعتدل فيها المناخ وتمتلي بالخضرة وتكثر فيها المناظر ، ومن أكثرها أهمية منطقة عسير التي ستكون عندما تصل إليها بد العناية والتحسين من أهم المصايف ، فإن ارتفاعها يزيد عن ٣٠٠٠ م ومن يجتازها لانتصوير نفسه أنه فوق بقعة في خطوط عرضها بل وفي الجزيرة العربية نفسها .

- ٦ -

www.asirnet.net

وحشما اجلت الطرف اعترضت ناظرنا خضرة واشجار وملاات الجو بهجة وإشراقا وإن كانت تنظها مرتفعات تبدو عارية في المناطق الشديدة الانحدار وتبدو صخورها جرداء وسوادها دافكا وبخاصة إذا كان الوقت بعد منتصف النهار إذ تنسج في ظل الفرا والتضارعات فتزدها عتمة . وتمتد الجبال في الشرق امامك وتقل ارتفاعها مع بعدها ونقل خضرتها باستمرار مع تأنها حتى تقيب في الأفق وتبعد بصرك بعيدا بعيدا حتى يختفي النظر في ذلك برمال الربع الخالي وتبدو السماء أكثر زرقة والرؤية أكثر وضوحا لقلعة الرطوبة .

وتتوالى الارتفاعات والأودية حتى تقسو على السالك الطرق وتتمب التنبات المتقل وتجل وعورها هذه فيها بقاعا حميئة وحصونا متينة تمتو على الغازي وتمنع على الطارق .

هذه مصايف الجزيرة العربية في المستقبل بعد ان تصحها يد الإعمار وترعاها يد الإصلاح .

* * *

- ٨ -

www.asirnet.net

الباب الأول

المقدمة

الفصل الأول

التضاريس

تبتد في غربي بلاد العرب سلسلة من الجبال ، من اليمن جنوبا إلى العقبة شمالا ، وهذه السلسلة تخترقها أودية وشعاب كثيرة ، يشرق بعضها وبعضها بغرب ، وليست هذه السلسلة على درجة واحدة من حيث الارتفاع فمنها الشامخ ومنها المنخفض ، ومنها مسطح القمة له فراع واسعة فيها سكان ، ومنها ما هو مؤلل أصلع القمة خال من النبات ومن وسائل الحياة .

هذه السلسلة تسمى الحجاز . ويعمل المتقدمون التسمية بأنها حيزت بين النور - وهو منخفض متصل بالبحر - وبين نجد - وهو أعالي الجزيرة المرتفعة - ذات الأرض السهلة التربة الكثيرة النبات عندما يجودها الغيث . ويطلق على هذه السلسلة أيضا اسم الطود ، ولكنه يخص جنوبها من قرب مكة حتى اليمن . وقد يطلق على الطرف الجنوبي الشرقي اسم الجبل الأسود وعلى القسم الشمالي حجاز المدينة . كما يسمى القسم الجنوبي أيضا باسم البراء وقد يقال فيه السروات لأن كل قسم فيه ينسب إلى قبيلة ويدعى سراء ، أما القسم الشمالي فقد يطلق عليه اسم الشراة وبخاصة الجبال الواقعة بين عسفان والمدينة .

- ١١ -

www.asirnet.net

والسراة : سراة الفرس اعلى منته ، جمعه سراوات ، وقال الاصمعي : الطود جبل مشرف على عرفة يتعاد إلى صماء يقال له السراة ، وإنما سمي بذلك لمأواه ، وسراة كل شيء ظهره يقال : سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الأزدي ، وقال قوم : الحجاز جبال تحجر بين تهامة وتجد ، يقال لاعلاها السراة ، كما يقال لظفر الدابة السراة .

وعسير جزء من هذه السراوات تمتد شمال بلاد اليمن حتى سراة الحجاز ، وقد اختلفت كلمة عسير تاريخياً ومكانياً ، فإذا كان قديماً قد أطلق اسم جرش على المنطقة التي تسمى اليوم عسير فإنها قد حلت فيما بعد اسم قبائل متحالفة اقامت في المنطقة وعرفت باسم عسير . وقد أصبح من المعروف عند الكثير من كتب عن بلاد عسير أن اسمها مشتق من العصر لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريفها لأن هذا الاقليم يضم جيلاً شامخة الذرا مترامية الأطراف تتخللها اودية وشعاب وعرة المسالك ملتوية المآلي . وإذا كان هذا الاسم فيما مضى يشمل منطقة صغيرة نسبياً حيث منازل تلك القبائل المتحالفة إلا أنه توسع اليوم وشمل الإقليم الذي وصل إليها حكم تلك البلاد أثناء توسعهم وامتداد نفوذهم .

يقول امين الريحاني في كتابه « نجد وملحقاته » :
(في شبه الجزيرة جبال غير اجا وسلمى ، وعسير جبال اليمن دمعان تستحق أن نعت بالزمردية . هنالك جبال عسير

- ١٢ -

www.asirnet.net

أ - تتواجد الأراضي الحجرية بالقرب من الجبال .
ب - تتواجد أراضي الطمي على جوانب مجاري الأودية ويعرف باسم « الحزون » وفيها بعض الحرارة والفيض وهي لينة بالمراعي وفيها بعض الجبال من غير السراوات .

ج - تتواجد الأراضي الرملية كلما اقتربنا من الساحل حيث توجد سيخات ساحلية يصل عرضها أحياناً إلى ٤ كيلو مترات ، وفي القسم الشمالي منها حرار بين مئتي شتوي والشمالي والجنوبي .

د - تتواجد الأراضي الملحية بجوار الشواطئ .

وشواطئ تهامة قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن وبخاصة الكبيرة منها لكثرة الجزر الصغيرة التي تكثر في البحر الأحمر ومنها المرجانية . وتمتد شواطئ تهامة عسير بطول أكثر من ٣٠٠ كيل ، ويتبعها ما يقرب من مائة جزيرة غير مسكونة ما عدا أكبر تلك الجزر ، وأشهرها جزيرة فرسان ، وتوجد بقرب تلك الجزر مفاصم اللؤلؤ .

ولعله من المفيد أن نتحدث شيئاً عن جزيرة فرسان التي تبعد عن جيران مسافة ستين ميلاً بحرياً ، وهي جزيرة صخرية يصل طولها إلى مائة كيلو متر ، عرضها إلى الثلاثين ، ويوجد عدد سكانها عسى خمسة آلاف نسمة . وتشتهل على بلدة فرسان قاعدة الجزيرة ، ويتبعها عدد من القرى منها : قرية الحرق وهي واحة فيها أشجار النخيل ويوجد عددها على ستمائة وألف نخلة .

- ١٤ -

www.asirnet.net

وقد كساها الاخضرار ، فسخنت فيها الاشجار ، وفزرت المياه ، وتنوعت الثمار . هي جبال عسير الغنية بكنوزها الدنيئة ، ناهيك بوائها ، وهو في اعتداله مثل هواه الطائف ، وبمساطرها وهي اروع من منظر البين ، وهي احصن الجبال للدفاع ، ورجائها من صوة العرب في الياس واليساسة) .

وعسير اليوم هي المقاطعة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية تمتد على مساحة واسعة وتضم اجزاء من تهامة واقساماً من جبال السراة وسفوحها الشرقية .

١ - تهامة : وهي منطقة السهول الواقعة على طول ساحل البحر الاحمر حتى السراوات وتضيق هذه المنطقة في الشمال حتى تكاد تتعدم تماماً وتصبح الجبال محاذية لساحل البحر الاحمر مباشرة ، ولذا فإن منطقة تهامة في الحقيقة تبدأ من جنوب جدة . ويزداد التساع منطقة تهامة كلما اتجهنا جنوباً نحو جيزان وتصبح تهامة عسير أكثر التساعاً وتتواجد فيها أراضي زراعية كبيرة على جوانب اوديتها إذ تمتاز بوجود طبقة طينية على سطحها في الجزء القريب جداً من الجبال وكذلك تمتاز بتواجد الطمي في الجزء الذي يليه قبل منطقة الساحل والتي تكون تربتها رملية . ونظراً لكون أراضي منطقة تهامة رسوبية متحركة بواسطة مياه الأودية الأنبية من الجبل فإن تربتها تندرج بشكل واضح من المرتفعات إلى ساحل البحر بحيث تتميز بالآتي :

- ١٢ -

وقرية التصار وهي واحة موفرة المياه العذبة ، ويعتبر ساوها من أبلر صخرية قريبة القو قليلة العمق ، وتعتبر مكاناً لنزهة أهل فرسان ، وفيها من أشجار النخيل ما يزيد على تسعة آلاف نخلة .

ويوجد عدد قراها على العشر وعدد موانئها على السنة وأشهر الموانئ مرسى ثبته وموقعه في الجنوب الشرقي من جزيرة فرسان .

وتتبع جزيرة فرسان الجزر الأتية :

جزيرة السقييد : وتقدر مساحتها بنصف مساحة جزيرة فرسان ، وتقع إلى الشمال الشرقي منها ، بينها شريط مائي قليل العمق تخوضه الجمال ولا يزيد عرضه على كيلو متر واحد ، وغالب تربتها رملية ، وتوفر فيها المياه العذبة ، وتحمل قاعدتها الاسم نفسه « السقييد » وفيها من النخيل ما يقرب من اثنتي عشرة ألف نخلة .

جزيرة زفاف : ويبدو أنها تحوي على النفط في طبقات أرضها .

جزيرة قنّاح : وفيها قرية أهلة بالسكان فيها عدد من أشجار النخيل .

وسكان جزر فرسان من غلب وكانوا قد تنصروا في القديم .

- ١٥ -

وتعتبر هذه الجبال موزعة للمياه بين نهامة في الغرب وأودية أخرى تسير نحو الشمال الشرقي أو إلى الشرق ، ولا نجد في المنطقة الأودية الطولية التي نراها في الجبال لعدم وجود التكتلات في هذا الاتجاه تجري فيها الأودية .



- ١٧ - (دائرة المعارف - الكويت الدريب)

ولهم كنائس في الجزر ، ولكنها قد خرجت جميعها بزوال الدين . النصراني منها ، وهم أهل ياس وشجاعة . ويحبون التجارة إلى بلاد الحبشة في العام مرة واحدة . ويدعي بعضهم أن سكان فرسان ينسبون إلى حمير . وفي الجزر جبل يقال له جبل الكنيسة يقال إنه كان فيه آكل بناء قديم زال منذ عهد قريب .

٢٦ - السراة : وهي جبال مرتفعة يزيد علوها على ٢٠٠٠ م ، ويصل في جبل السود شمال مدينة إيه إلى ٣١٢٠ م وهي جزء من الدرع العربي ذي الصخور البلورية والتي لا تحتوي على مياه جوفية مختزنة فيها لأنها غير منفذة لا يتسرب الماء إليها ، ولذلك تقل فيها النباتات ، ولأن وجد بعضها فأنما بسبب نقت. بعض صخور الغرايت التي حوت بعض الماء أو في رواسب الأودية والمنخفضات وكلاهما قليل . وهذه الجبال جزء من السروات التي كانت وجبال إفريقية على الشاطئ الثاني للبحر الأحمر والتي تمتد من مصر وحتى الصومال كتلة واحدة أصابتها عدة التكتلات ارتفعت تبيحتها الجبال على جانبي القور الذي يعلوه المياه وعرف باسم البحر الأحمر ، وكانت المرتفعات على شكل مدرجات لتوالي التكتلات التي خفضت لها المنطقة ولذا فالجبال تميل بشدة نحو البحر في الغرب بينما تنحدر ببطء نحو الهضبة الداخلية في الشرق ، ويكون اتجاهها العام نحو الشمال الشرقي .

- ١٦ -

www.asirnet.net

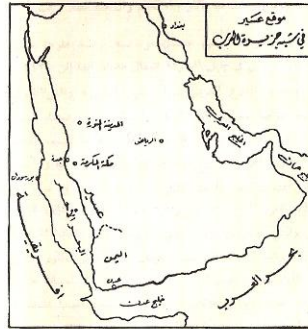
المناخ

المناخ : يختلف المناخ بين نهامة والسراة نتيجة الاختلاف في الارتفاع إذ تكون الحرارة مرتفعة في منطقة السراة صيفاً ويبلغ معدلها ٤٤ درجة مئوية ، وتكون هذه الحرارة مقرونة بالرطوبة مما يجعل تحملها صعباً ويكثر المرء بكثير من الضيق إذ يتسبب العرق منه باستمرار ، وكذا تتراوح نسبة الرطوبة بين ٨٥ - ٩٠ ٪ ، أما في الشتاء فلا تنخفض درجة الحرارة عن ١٧ درجة مئوية . وتكون الرطوبة بين ٣٠ - ٥٠ ٪ .

أما المناطق الجبلية فالحرارة تكون معتدلة فلا تزيد عن ٢٨ درجة مئوية في الصيف ، وتنخفض إلى ٣ درجات في الشتاء ومع ذلك فلا يشعر الإنسان بالبرد الشديد رغم الارتفاع الكبير إذ أن الرطوبة تجعل البرد غير قارس كما هو الحال في المناطق الصحراوية التي تمتد إلى الشرق منها .

وتهب على عسير في الصيف الرياح الموسمية سواء الغربية منها أم الجنوبية الغربية فالأولى تصل إلى المنطقة من المحيط الأطلسي وتسبب سقوط الأمطار فوق هضبة الحبشة وعندما

- ١٩ -



- ١٨ -

www.asirnet.net

تجتازها تمر فوق مناطق منخفضة ثم فوق البحر الأحمر فتجبل معها بعض الرطوبة فتندما تصعد بجبال عسير تسبب هطول المطر بينما لا تسبب هطالا فوق تهامة لحرارة المنطقة فتقل معها الرطوبة النسبية ولكنها تسبب العواصف الرملية التي تعرف هناك باسم الغيرة وغالبا ما تكون في نهاية الصيف وبعد الزوال حتى غروب الشمس . أما الرياح الجنوبية الغربية فتأتي من المحيط الهندي وتكون في أوائل الصيف وتثير البحر الأحمر وتنتج فتتفرق الأمواج فيه ، ولا تسقط إلا أمطارا قليلة لأجسام تقع في ظل القرن الأفريقي كما أن جبال اليمن تكون قد أفقدتها أكثر حولتها ، ولا يزال تهامة منها شيء .

كما قد تصل آثار البحر الأبيض المتوسط إلى المنطقة وتسبب سقوط بعض الأمطار الشتوية . أما البحر الأحمر فآثره ضعيف جدا لضعفه وانخفاضه وانحصاره بين المرتفعات ، ويختصر أثره في زيادة رطوبة المنطقة وتشن بعض الرياح المارة فوقه ببعضها .

يجد أن الأمطار تقل في تهامة ويتراوح معدلها بين ٥٠ - ٢٥٠ مم سنوياً وتزداد في المرتفعات ويتراوح متوسطها بين ٢٥٠ - ٥٠٠ مم في العام ثم تعود إلى التناقص في الشرق إذ ما نصل إلى نهاية منطقة عسير إلا وتكون الأمطار قد قصت عن ٥٠ مم في العام وتكون قد وصلنا إلى الضحراء .

ولكن هذه الأمطار تتوزع على أشهر السنة كافة مما يجعل

الخشرة دالة في المنطقة وإن كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف بسبب الرياح الموسمية التي تكثفها عنها فهي مدينة إليها يكون معدل الأمطار خلال أشهر السنة على الشكل التالي :

كانون الثاني	٣٠ مم	آب	٨٠ مم
شباط	٥٠ مم	أيلول	٦٠ مم
آذار	٣٠ مم	تشرين أول	٦٠ مم
نيسان	٥٠ مم	تشرين ثاني	٨٠ مم
ايار	٤٠ مم	كانون أول	٤٠ مم
حزيران	٦٠ مم		
تموز	١٠٠ مم		

ولما كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف لذا نستطيع أن نقول إن موسم الأودية الرئيسي إنما هو نهاية الصيف حيث تمتد الغيوم وتهطل الأمطار وتجري السيول .

«إن قسماً من مياه السيول يذهب بالتبخير لشدة الحرارة وبخاصة في تهامة بينما لا يضيع إلا القليل منها في التسرب إلى باطن الأرض بسبب صخور المنطقة الصلدة والتي لا تسمح للماء بالتسرب داخلها إذ أنها بلورية وغير منفذة .

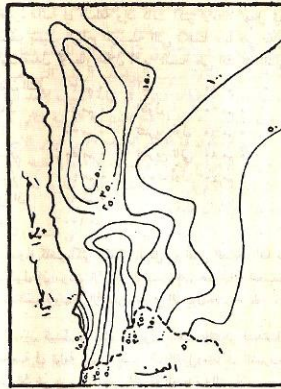
الأودية والمياه

الأودية : نستطيع أن نقسم الأودية في عسير إلى قسمين :

١- أودية نهضة : وهي أودية قصيرة المجرى تهبط بسرعة نحو الغرب حيث تنتهي في البحر ، وتتلقى المياه من الأمطار المتساقطة على جبال البراءة حيث تتجمع في شحاب تجتمع مياهها في وادي كبير ، وقد تختلط مياه الأودية المجاورة أثناء الفيضان وبخاصة في المنطقة المنخفضة التي تقع قريباً من ناطق البحر . ويوجد عدد هذه الأودية على التلالين وادياً ولتذكر أهمها من الجنوب إلى الشمال .

وادي حرش : وادي قصير ، يتلقى المياه من السفوح الغربية لسراة اليمن ، ويسمى باسم بلدة حرش اليمنية التي تقع على مجراه الأعلى . وقد قال ياقوت الحموي : حرش ، بفتح حاء وهو في اللغة الذي أذاب الحرز : وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة ، نزل حرش بن خولان بن عمرو بن مالك بن حبيب فسمي به ، وهو اليوم بين خولان وهمدان^(١) . وقال الهمداني :

(١) - معجم البلدان .



مصور يوضح معدل الأمطار السنوي في منطقة عسير

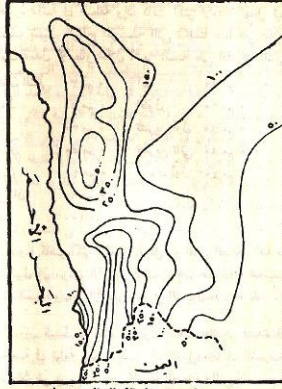
الأودية والمياه

الأودية : نستطيع أن قسم الأودية في عسير إلى قسمين :

١- أودية نهاسية : وهي أودية قصيرة المجرى تنحدر بسرعة نحو الغرب حيث تنتهي في البحر ، وتتلقى المياه من الأمطار المتساقطة على جبال البراء حيث تتجمع في شهاب تجتمع مياهها في وادي كبير ، وقد تضطرب مياه الأودية المجاورة أثناء الفيضان وبخاصة في المنطقة المنخفضة التي تقع قريبا من ناطق البحر ، ويريد عدد هذه الأودية على الثلاثين واديا ولتذكر أهمها من الجنوب إلى الشمال .

وادي حرض : وادي قصير ، يتلقى المياه من السفوح الغربية لسراة اليمن ، ويسمى باسم بلدة حرض اليمنية التي تقع على مجراه الأعلى . وقد قال ياقوت الحموي : حرض ، يشحن ؛ وهو في اللغة الذي أذابه الحزن : وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة ، وله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حبيسر فسمي به ، وهو اليوم بين خولان وهمدان^(١) ، وقال الهمداني :

(١) - معجم البلدان .

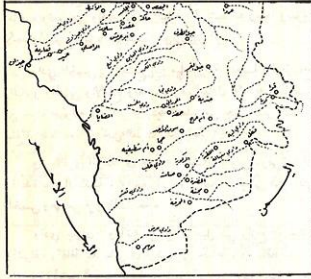


مصور يوضح فصل الأمطار السنوي في منطقة عسير

- ٢٢ -

www.asirnet.net

وتقع على أطراف هذا الوادي عدد من القرى مثل : حاسمة ، القبة على وادي لية ، وقيل على وادي مغيالة ، والركوبة قريبا من التقاء وادي لية ومغيالة ، والبضراء جنوبي صامطة .



مصور يوضح أودية جنوبي نهاسية عسير

- ٢٥ -

حرض : وهو وسط من الأودية وله فرعان : فالجنوبي منها من الشقيقة وما اكتف المحجة ومنها إلى حرض من بلد عذكر وبلد حجور إلى المباح فالمر ، والشمال منها ينزل مطرق وما اكتف المسيل منه من بلد عذكر وبلد بني شهاب بن العاقل إلى معين الحش حتى يلتقي بالفرع الثاني بالسرير فيقطن كلاهما اللصاب^(١) وهو أعلى وادي حرض ويده الشهاب ينحدر من بلد خولان ويسير من بلد همدان ، ويصب إلى الشقيقين ، ويسقي ما أخذ هذه البلاد إلى البحر^(٢) .

وادي تمشر : ويتلقى المياه من سفوح جبل أبو منار الغربية وتأتيه ثمانية أودية كلها من ميسره وهي : أمناوية ثم الملح الذي تجتمع إليه بقية الشهاب وهي : بوميرة - بوقبول - بوحسين - مشطوب - بومثورة - بومعانة . ويرف في أعلاه باسم وادي وعلان . أما عن اليمن فيلتقي بمياه الأودية والشهاب المنسابة من جبال الريم وقرن قبول وجبل جفان وأهم الأودية هي : القصب - الفصوص - لية - بومثيرة - مغيالة - دباب - بمرج - أمقاري - بومثورة - بوحشيش - ويتدرج ما جعل هذا الوادي الكبير - وادي تمشر - ب ٤٥ ألف متر مكعب من الماء في السام .

(١) اللصاب : الخائق .

(٢) صفة الجزيرة العربية ص ١٢٥ منشورات دار اليمامة .

- ٢٤ -

www.asirnet.net

وقد أقيم عليه سد لحجز المياه من أجل الري . وإن لسم يكن هو أكبر وادي في نهاسية إلا أنه من الأودية التي يمكن الإفادة منها كما أنه يبادل بقية الأودية الكبيرة ويصرف ٥٥ ألف م^٣ من الماء كل عام .

وادي ضمد : ويتلقى من غيلان جبل بني رازح بين غيلان وأشرف رغافة كوازي جازان وتأتيه مياه وادي جورا وكلاهما تنحدر إليه سيول جبل فيفا وجبال بني مالك وجبال الحشر .

ومن القرى التي تقع في حوضه الواسط : تقع على عدوة الجنوبية .

وادي صبا : وتأتيه مياه وادي قصي من جهة اليسار كما يرفده من جهة اليمن وادي نفلان الذي يجري بين المكوة الشامية من جهة اليمن والمكوة البانين من جهة اليسار والمكوة جبالان .

ومن المدن الهامة صبا التي يحمل الوادي اسمها ، وقلبية التي تقع إلى الجنوب منها .

وادي يثي : وهو أكبر أودية نهاسية عسير ، ويشكل نصف دائرة إذ تبدأ شماليه الأولى من جبال الحشر وجبال بني مالك وجبال البراء كوازي الدخاخ وادي الضبعة ووادي القاعة وتجه نحو الشمال الغربي ثم يأتيه وادي الموراء ووادي راكان

- ٢٧ -

وادي خلب : ويعد رأسه حتى بلاد اليمن ، ويكون طويلا المجرى ، وتأتي روافده من سراة خولان ، وأشهر روافده دهوان - شرافة - مجاره - ذهبان . ويقدر ما يصله من الماء سنويا كسابقه وادي تمشر وهو ٥٥ ألف متر مكعب وتأتي مثلها من روافده . ويتسع مجراه عند مصبه كثيرا حتى تضيق مياهه في رماله . وتقع على وادي القرى التالية : أم شطيبة وجبا وسوق الأحد وأم عرج وكوبا . ويصب جنوبي جبل القمعد .

وادي الخمس : وتجمع إليه مياه أودية الصفا والفرشاح والكور والملايين والأملح ومقاب ، وهو يبادل الأودية السابقة من حيث حمولته ، وأكثر الأودية تنحدر من جبل القمر الذي يبلغ ارتفاعه ٧٥٥ م وجبل الطرف الذي يبلغ ٥٤١ م .

ومن القرى الواقعة في حوضه : للمضاب جنوبي شرقي جازان رقاعدة بلاد الحكمة . والجوراني على المدوة اليمنى من وادي الخمس وهي من قرى المسارحة .

وادي جازان : وماتيه من غيلان جبل بني رازح بين غيلان وأشرف رغافة بلد عامر في أرض بني جماعة ، ومساقط عثم . وتقترب رؤوس أوديته العليا من شهاب وادي خلب العليا ، ومن الأودية التي تدفع مياهها نحوه : أبو الجرع وبسيال وعوجبة ومشرف وقصبة .

ومن قراه سلامة وعقدة والقنارية والمجصص والواصلي .

- ٢٦ -

www.asirnet.net

ويتجه عندها وادي ييش نحو الجنوب الغربي فتأتي الروافد عن يساره وادي عكاش وقرى وغوان وشهدان ووساح ويتجه نحو البحر ليصب شمال وادي صيبا وعلى مقربة منه .

ويقدر ما يصرفه من المياه خلال العام ١٥٥ ألف متر مكعب . وتكثر القرى في مجراه الأسفل أبو الطور وقلبيسة والجارية والقشة وييش . ويقول باقوت الحموي : ييش : بالشين المعجمة : من مخاليف الين ، فيه عدة مهادن ، وهو واد في مدينة يقال لها أبو تراب ، سبت بذلك لكثرة الرياح والسواقي فيها ، وهي ملك للشرفاء بني سليمان الحشنيين .

وادي السر : وهو واد صغير .

وادي ييش : ويرفده من جهة اليسار وادي جوان ثم وادي سرة .

وادي رملان : ويوازي وادي ييش .

وادي عود (١) : وهو من الأودية الكبيرة مثل جازان وتمتد ، وتأتي مياهه من السراة إذ يرفده من جهة الين وادي

(١) يوجد واديان يحملان هذا الاسم أحدهما يتجه نحو الشمال الشرقي حيث يرفد وادي بيشة ، والآخر هذا الذي نتكلم عنه ويجري في تهامة ويصب في البحر الأحمر ، ولا يفصل بين الوديين سوى منطقة صغيرة تقع فيها قرى المضافة وال بريد وتعتبر منطقة تقسيم المياه بين السيلين .

- ٢٨ -

www.asirnet.net

ضلع الذي يمتد برأسه حتى قرب مدينة أها ثم تأتيه مياه وادي مرابا المجتعة من أودية التينة وحرمة ومرابا وكلها أودية تقرب في مجاريها العليا من وادي خبيبي الذي هو أصل وادي أها حتى لا يفصل بعضها من بعض سوى المقبات . وتنحدر عليه بلدة الدرب .

وادي رم : وهو طويل المجري أيضا تأتي مياهه من السراة ومن غربي السوداء وقرى من مجرى وادي حلي الأعلى .

وادي غريم : وهو واد صغير .

وادي حلي : وتأتي مياهه من جبال السراة من السفوح الغربية لجبل السوداء ، ويتجه نحو الشمال الغربي فيرفده وادي قش الذي يتدفق أيضا من جبل السوداء ، ثم يرفده وادي تيشة من جهة الين أيضا . وتقع في وادي رجال ألمع الشام ومحاليل البحر وحلي .

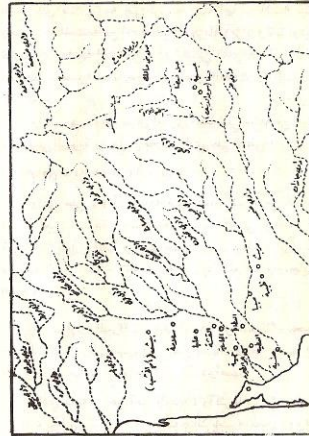
ب - أودية السراة : وهي الأودية أكثر بسولا وتتجه نحو الشمال الشرقي حسب الجبل العام للمنطقة ويتجه بعضها نحو الشرق ، وجسيمها تفيض مياهها في الرمال ، وأهمها :

وادي بيشة : وهو أهم الأودية ، وأكثرها طولاً ، وأغناها روافد ، يبدأ من شرق تمنية ويعرف هناك باسم صفحان ، ويكون اتجاهه نحو الشرق ثم ينحرف نحو الشمال ويعرف باسم وادي المربع ويأتيه من الين وادي واض ويعرف بعدها باسم بيشة

- ٢٩ -

ويستمر في اتجاهه نحو الشمال حيث يرفده من جهة الين أيضا وادي عنة التي تأتي من سراة عبيدة ويكون مجراه هذا في بلاد تحطان ، ويختلج بعدها بلاد شعوان حيث تقوم عليه مدينة عيس مشيط ويصعد يرفده من جهة اليسار وادي عروه الذي يتقصر إليه المياه المتساقطة على المنطقة الواقعة بين أها وبلاد قطان . ثم تأتي مياهه من حيلة عن اليسار أيضا كما تأتيه سيلة أخرى من الين ويتابع مجراه نحو الشمال حيث يرفده وادي أها وهو واد طويل يأتي من السوداء ويعرف هناك باسم خبيبي وعندهما يصل إلى مدينة أها يعرف باسمها ويرفده وادي جوان من الين عند قاعدة كما يأتيه وادي حرة من اليسار ويرفده عنده بلدة الحاتلة ويتابع مجراه نحو الشمال حيث يمتدع برادي بيشة الذي يحتفظ الوادي باسمه ثم تأتيه مياه الوادي الغرير الذي تجتمع فيه مياه وادي أناة ووادي ملاحة ويتفجيان المياه من جبل السوداء وجبل تمال ، وكذا أودية بني ملك التي تأخذ المياه من جبل تمال وكذا وادي عيل ، كما تأتي وادي بيشة سيولا عديدة عن الين وعن الشمال . وهي أشهر الأودية التي تأتيه عن الين وادي تدمع الذي يمد رأسه نحو الجنوب حتى قرب سراة عبيدة وتأتيه سيول كثيرة ثم يرفده وادي بيشة بنحوب شرقي بني ثور ، كما تصل وادي بيشة سيوله من اليسار . ويتابع مجراه بعد بلدة بني ثور وهنا تأتيه أكثر الروافد من جهة اليسار بسبب ميل المنطقة العام إذ أن السيلول التي تجري على

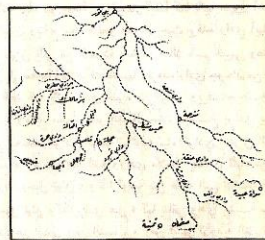
- ٣١ -



- ٣٠ -

www.asirnet.net

يمتد اتجاهه نحو وادي تليلت ، فتصب فيه مياه بلاد بالأسر والأحمر والقرن ، وأهمها : وادي ترع الذي يجمع مياه عدة سيول ويصب في وادي بيشة عند الحيفة . ووادي هرجاب وهو من الأودية العظيمة في بلاد شعوان ، ويرفده وادي بيشة قرب الحيفة أيضا . واعتباراً من واعر قبل الحيفة يقلل يدخل بيشة



مصور مجرى وادي بيشة الأعلى

مجراه الأسفل وعندما تقوم مزارع التخليل في مجراه ينشأ من قبل يكون مرتفعاً ولا يصلح لزراعة التخليل وإنما لزراعة التمسح ومجراه الأعلى يعرف بالشفاف بينما الأسفل يسمى بالشفاف لقيام

- ٣٢ -

www.asirnet.net

زراعة التخليل . ثم يرفده عند الصبحي وادي تالة الذي يتلقى المياه من بلاد غامد ويعرف في مجراه الأسفل باسم التينة . وبعد ذلك يمر الوادي من بيشة ويتابع اتجاهه نحو الشمال الشرقي حيث يلتقي مع وادي رية وينشأ من ماء في الرمال باتجاه وادي الدواسر .

يلج طول وادي بيشة ما يزيد على ٣٥٠ كم من بدايته وحتى بعد الحيفة يقلل ولكن يستمر بعدها ما يقرب من ١٠٠ كم في الرمال .

وادي تليلت : وهو يصفي الأمطار التي تتجه إلى جهة الشرق من بلاد بطون قبيلة قطان ، كما أنه منتهى عدة أودية مهمة تصفي قسماً من بلاد قبيلة شعوان ، ويتجه نحو الشمال الشرقي ، وينتهي عند الرمال المعروفة باسم المخضبة يقرب وادي الدواسر ، وإذا جرت فيضانات كثيرة يمكن أن يتجاوز السد الرمي ويصل إلى وادي الدواسر كما حدث عام ١٣٣٦ هـ وقد أغرق آنذاك عدة قرى .

يمتد وادي حفصة نحو الجنوب أكثر من غيره من الأودية التي تشكل وادي تليلت ويرفده من اليسار وادي العرين ثم وادي طرب ثم وادي المسيرق الذي يتألف من ثلاثة أودية كبيرة وهي الشيق والسيل وخير وتلتقي في حجاز الثمن مع وادي تليلت ، ثم يرفده وادي الناعة . ومجرى الوادي تتلصق تحطان ما عدا وادي المسيرق والناعة فلهما ملك شعوان .

- ٣٣ - (وزارة المعارف - الكويت)

أما الأودية التي تتجه من السراة إلى الشرق فهي : وادي جيوته ووادي تجران .

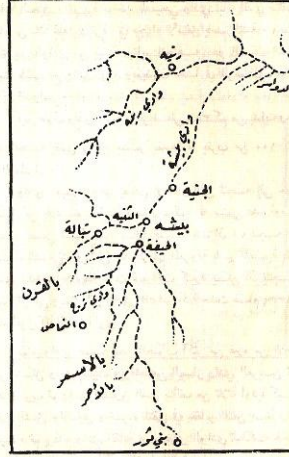
المياه المعدنية : توجد في تهامة بعض المياه المعدنية بسبب أن المنطقة انكسارية ، والمياه المعدنية ليست سوى مياه دخلت إلى باطن الأرض خلال صدوع وارتفعت حرارتها كما حلت بعض المادّن الموجودة في التربة وبخاصة المواد الكبريتية لسهولة انحلالها ثم انبثقت هذه المياه مرة أخرى بسبب ضغط الأبخرة الناتجة عن الحرارة الأرضية وتندفع البراكين في المناطق الانكسارية ، وتتكون في شقوقها المياه المعدنية كما يتكون في الانكسارات ، وإن كانت الانكسارات سبب وجود البراكين إلا أن المياه المعدنية قد تكون في مناطق انكسارية كما قد تكون في مناطق بركانية ومن أشهر هذه العيون في تهامة عسير :

العين الحارة : جنوب شرقي جيزان وعلى مسافة ٥٠ كم منها بين الأودية العليا التي تكون وادي خلب ، وتظهر أبغرها من بعيد على شكل دخان أبيض وتنحس بين صفور بركانية ، وتنساب مياهها لتصب في وادي خلب . ومياهها حارة لدرجة لا يتحملها جسم الإنسان .

الوغة : وتقع شرقي العين الحارة بمسافة خمسة كيلو مترات ومياهها حارة أيضاً كما يتفحصها .

اليزة : وتقع شرقي جيزان بمسافة ٥٣ كم ، وقريبة من مجرى وادي جازان ، ومياهها حارة وتنساب بين بساكن التخل لتصب في الوادي .

- ٣٥ -



مصدر ووادي بيشة في مجراه الأوسط والأسفل

www.asirnet.net

النباتات والحَيَوَان

النبات الطبيعي : يقول الهمداني عن نبات عسير « بين روض وشجر عري (١) وعضاء مطعمة وعضاء شوكه وحشائش ويزهور وأتوار ، فأما الحشائش ففيها أكثر حشائش المقشار ولكن أهلها البدوية لا يعرفونها وإنما يعرفها الحكيم من الناس من أهل صناعة الطب ، وكل جنس من هذه الضروب لا تحصر فونه غير أن العرب قد تبيل إلى أسماء الرجال وإلى أسماء العضاء الشائكة والمرتمية لما فيها من الشؤنية والحدة والصلابة والصبر على قلة المياه وعدم الري فمن أسمائهم طلعمة وسرة وجوسجة وعرفة وقنادة وعفصة وحدة وشبرمة وطرفة و... » (٢)

« ولقد كان سكان السراة يعتمدون على أشجار بلادهم ونباتاتها في أكثر ما يحتاجون إليه في شؤون حياتهم ، فمن بعض ثمار الأشجار يأكلون ، ومن تلك الأشجار يتخذون أسلحتهم كالنسي والتبال وأواني أكلمهم وشربهم ورحالهم وسقوف بيوتهم ، ومن ورقها وقشورها جذوعها ما يصلحون قريهم وأثاثهم ، ومن

- (١) شجر عري : نبات من نلقاء ذاته وهو النبات الطبيعي .
(٢) صفة الجزيرة العربية ص ٢٧٦ .

- ٣٧ -



مصدر يوضع أودية عسير
اليزة : على اسم سابقتها وتقع شمال شرقي جيزان على مسافة ٥٠ كم أيضاً وتصب مياهها القليلة الحارة في شمسدان الذي يرفد وادي بيش .
وغة بني ماله : بين جهال فيها وجمال بني ماله قريباً من الحدود اليمنية ، وترغد مياهها وادي شمس ، ويقصدها الناس سواء من اليمن أم من سكان تهامة ، وقد بني عليها حوضان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، وهي تهدم حسن جيزان مسافة ١٦٠ كم .

- ٣٦ -

www.asirnet.net

الإبل : وهي شجرة شائكة كأنها الإكسرج ونباتها ذرا الجبال .

الشعب : شجرة طلاء كثيف ، لا ثمر لها ، وتنبت في المرتفعات .
الجوز : شجر عالٍ كثير الأغصان وأوراقه عريضة وثماره معروفة .

السوجر : وهو نبات الصفصاف ويكثر في الأودية .
الرقعة : وهو شجر كبير يشبه الجوز .

السرو : ينبت في الجبال حيث ينحل البرد وأوراقه أبرية وتتخذ منه القسي .

السدر : وهو شجر النبق وأوراقه عريضة ، يرتفع إلى عشرة أمتار ، وهو كبير الظل ، يكثر في بطون الأودية وبخاصة في السفوح الشرقية .

السمر : نباتات صحراوية ترتفع إلى مترين ونصف المتر ، وأخشائها جيدة للوقود .

الفرو : نبات ضخم ، يستعمل في أعمال التجارة ، وكان يستفاد منه في صنع الآنية المنزلية .

البيخ : من أشجار الجبال .

التيح : من أشجار الجبال أيضاً .

ومن الحشائش والنباتات القصيرة :

البشام : عطر الرائحة ، طيب الطعم ، يستاك بتقبسه ،

- ٣٩ -

نباتاتها ما يتخذون منه أدوية لمراضهم أو سماً لقتل أعدائهم من الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة » (١) .

كما ويستفاد من النباتات لحفظ التربة من الانجراف عند سقوط الأمطار . والنباتات كثيرة منها ما هو أشجار عالية ومنها ما هو حشائش فضلية ، منها ما ينبت في الجبال والأماكن المرتفعة ومنها ما ينسو في الأودية والبقاع المنخفضة ، وأهمها :

الطلح : من أنواع الأكاسيا ، ويوجد في المناطق المنخفضة وينمو حتى ارتفاع ١٧٠٠ م كما يوجد في الأودية ، ويقطع في فصل الخريف وهو قوي فاذا أتى عليه الشتاء فرغ له واتخر ولم يعد صالحاً لما هو له من سقف البيوت وغيرها .

العمر : وأوراقه دائمة الخضرة ، وله ثمر صغير كالحمص ولكن لا يستفاد منه ، وإنما يستفاد من جذوعه كأخشاب قوية ، وهو نبات كبير ، وهو كثير بالسراة .

الزيتون البري : ويسمونه العتم وهو يكثر في أجا وبلاد (بالقرون) .

الإسحل : وهو من النباتات الصحراوية ، ويشبه الأكل ، وينمو في السهول .

(١) سراة غامد وزهران لحمد الجاسر ص ٣٧٢ عن التكلفة للصفاتي .

- ٣٨ -

www.asirnet.net

وإذا قطع خرج منه سائل أبيض ، ويثقل ورقه ويحيط بالحاء ، يسود الشجر .

الحديث : له ثمرة تشبه الشمس تستعمل في الطباعة ويرتفع بقدر نصف متر .

الحرم : نبات صحراوي ، ينمو بالقرب من الماء ، ويصل ارتفاعه إلى نصف متر .

الخزام : له ثمرة تأكلها الثريان ، وتؤلف نبته أسراب النحل .

الخطر : يستعمل لتخفيف الشجر ، وقد يزرع مع الحناء .

الزرم : حشائش ترعاها الأغنام .

المرار : شوك صغير كالمصفر .

القرظ : ويستعمل للديباجة ، وتزعى الأغنام والماعز أوراقه ، ويصل ارتفاعه ٢ - ٣ م ، ويستعمل للوقود .

الرفيع : نبات مر المذاق يصل ارتفاعه إلى ٣٠ سم وسيقانه رفيعة .

المشرب : ينمو على أطراف الأودية وعلى حدود المناطق الزراعية ، وترعاها الإبل .

الطرف : نبات قصير يستعمل لحنو الوسائد والمساند .

الضرم : نبات يصل ارتفاعه إلى المتر ، طيب الرائحة ، تأكله الأغنام ، وتعلفه الإبل ، وله ثمر يشبه ثمر البلوط .

الشذا : ينبت بالسرعة وتتخذ منه المساويك .

الزقوم : يرتفع إلى ٦٠ سم ، وأوراقه صغيرة ، مر المذاق وفيه أشواك تعلق بأصواف الأغنام أثناء مرورها فوقه كما تلتصق شيايب الإنسان .

الزوان : نبات يشبه نبات القمح ويعرف في بلاد الشام باسم «زيوان» .

الزوحط : نبات يصل ارتفاعه إلى متر واحد ويوضع فوق أخشاب السقف ، بينها وبين الطين .

الحيوان : كانت الحيوانات قديماً أكثر منها الآن إذ أن كثرة السكان واستعمال آلات الصيد الحديثة وتغير المناخ كل ذلك أدى إلى قلة الحيوانات وانعدام بعضها ، فقد كانت الأسود تكثر في المنطقة وتشتهر أسود وادي بيتن وأسود وادي عتوداً أما الآن فقد انقرضت وإن كان السكان يتحدثون عن وجود بعضها وتوجد الضباع والذئاب والثور في المناطق القليلة السكان . وكذلك قلت الطيلاء والوعول ، وتوجد الأرانب والنبيص ومن الزواحف تكثر الأفاعي والحرياء .

الباب الثاني

الشكان

نسب الشكان

سكنت السراة منذ القديم ، وكان من قاطنيها من بادي واندرست آثارة ، وكان منهم من جلا عنها وارتحل منها ، وكان منهم من انضمهم مع من غلبهم على بلادهم . فقد قيل : إن الصالحية قد عمروها حتى اقترضوا منها ، كما قيل : إن الانباط قد انطلقوا منها إلى أطراف جنوبي بلاد الشام ، وقيل إن بني ثابر قد عاشوا فيها حتى جاءهم الأزد وقد تفرقت في الأرض بعد خراب سد مأرب فحطت رجال بعضهم فيها ، وغلبوا قاطنيها ، فاقاموا فيها ، وانتسب المغلوب للغالب ، ونسب أهلها الجند إليها تمييزاً لهم عن بقية إخوانهم وتعرفاً لهم بمقامهم فيقال : أزد السراة كما يقال أزد عثمان ، لأنها كانت قبيلة كبيرة لا يسع أفرادها مكان واحد ، ولا يكفي حيواناتها مرعى واحد . وكانت بطونها قد خرجت من مستقرها وتريد الاستيطان واختيار المكان فكان لا بد لهم من أن تقاتل أقواماً سبقتها وجماعات حلت في أماكن مليئة وبنوع خصبة ، وانطلقت أكثر البطون تخاضم وتخاضم ، ولم يرق لأزد السراة أن ينصروا إخوانهم في قتال خروعة فمسموا

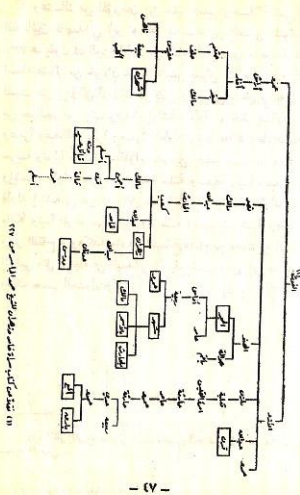
شؤنة لشنان بينهم وتياغض وتبرؤ (٢١) وعرقوا من بعدها باسم
أرد شؤنة وهم بنو الحارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن
الأرد كما أقامت معهم بعض البطون الأخرى .

وتخالفت بعض البطون مع بعض ومع من جاءها مع غيرها
حلياً أو زاراً مستقيماً أو مستجيراً رديفاً فشكلت قبيلة واحدة
فاختلطت بذلك بعض الأنساب وضاع بعضها الآخر حتى لم
يعرف إلا إليه من القبيلة الجديدة المتخالفة لقبيلة عسير التي أعطت
المنطقة اسمها .

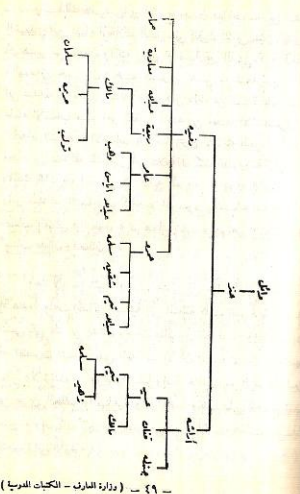
واستقر كذلك كل بطن في مكان معين وأعطاه اسمه وصار
قبيلة خاصة فقال : سرة غامد وسرة زهران وبلاد بالقرن وبلاد
شهران و

وإن اختلف في هذا النسب الباني ، هل عسير من أسلم
ابن عمرو بن ثالة بن قرن أم تنتسب إلى أسلم أخي قرن هذه
وهنا ابن أحم بن مالك بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن
مالك بن نصر بن الأزرد ؟ كما هو موضح في الجدول الآتي :

(١) أرد شؤنة قبيلة سميت لشنان بينهم والنسبة شنان
وشنبة له حقه أعطاه إياه وبه أقر أو أعطاه وتبرأ منه ، وشانؤولا
تياغضوا « القاموس المحيط » مادة شنا .



وهناك من المؤرخين من يعتبر عسير رجلاً ينتمي إلى
المدائين فالهداني أبو عبدالله محمد بن الحسن المتوفى
٣٣٤ هـ يقول في الجزء الأول من كتابه « الإكليل » بعد أن ذكر
أسباء عشائر من خولان بولخلا تلتبس بقبائل عذر بن والي فذكر
نسب عذر بن والي أو ولد عذر بن والي ما خبرني به بعض
من يصلحهم من جب رفيدة وإراشة ، فأولد رفيدة ربيعة وجواوة
وعامرأ وعبدالله وعمرأ وحارأ ، فأولد ربيعة مالكاً ، فأولد مالك
حرية وتولياً ولساناً ، فأولد عامر بن رفيدة عبد الله ووهباً
وإياساً ، فأولد عمرو بن رفيدة سلمة وشقيقاً وتيباً وعبد الله ،
فأولد إراشة بن عذر بن والي عسراً وقفاً وجندلة ، فأولد عسیر
مالكاً وتيباً فأولد تيم زهيراً وسلسة ومنهم بنو شبة وعصانة
وبنو اللقاح . وهكذا جاء عن النسابة هشام بن محمد بن السائب
الكلبي مثل ما جاء عن الهداني في رفع نسب عسير إلى عدنان (١)
وفلذلك حسب الجدول الآتي :



وكذلك فقد روى المؤرخ حسين بن أحمد بن عبدالله
الضبي من علماء المخلاف السلياني للقرن الثاني عشر الهجري
أن عسير من عدنان ولكنه روى له نسباً غير الذي ذكره الكلبي
والهداني حيث قال : هو عسير بن عيس بن شحارة بن غالب
ابن عبدالله بن عك بن عدنان وهو ينقل ذلك عن عدة علماء من
علماء الأنساب منهم أبو الحسن أحمد بن محمد الأشاعري في
كتابه « التعريف بالأنساب » وكما روى ذلك السيد الإمام
محمد بن عبد الله المشهور بابي غلامه في كتابه « روضة الألباب »
والملك الأشرف الساساني في كتابه المعروف « طرفة الأصحاب »
وأبو عبد الله النسابة في كتابه « الموسون بالفلسك المشحون في
أنساب القبائل والبطون » ثم هناك كتاب « جواهر التيجان في
أنساب عدنان وقحطان » .

وهنا لا يمتنا كثيراً انتسب عسير إلى عدنان أم إلى قحطان ؟
إذ عندما جاءت القبائل البانية إلى المنطقة كانت تقيم فيها قبائل
تنتمي إلى عك بن عدنان وحدث قتال بين الطرفين وإذا كانت
قد انصهرت البانية على العدنانية إلا أن الثانية لم تغادر أماكنها
نانياً ولا زالت من موطنها تماماً وإنما اختلطت مع الزمن بالعدنانيين
عن طريق الحلف والمصاهرة والموالات ، وغلب على الجميع اسم
عسير . وإن كان كثير من الناس من يجب الالتساء للغالب ولهذا
انتسبوا إلى الأزرد .

أما ما خرج عن معنى عسير من القبائل التابعة لها فيعظم
من قحطان من بني الحجر بن الهنو بن الأزرد وهم رجال الحجر
أي قبائل بالأحمر وبالأحمر وبنو شهر وبنو عمرو وبالحارث
وبنو مالك كما هو موضح في الجدول الوارد في الصفحة ٤٧ من
هذا الكتاب .

وقد كتب الشيخ عبد الرحمن العاقان بعض البحوث
التاريخية عن منطقة عسير جاء فيها مايلي :

١ - قبائل شهران بن غفرس ، وناهس بن غفرس ، وهم
بلاشك من قبائل شتم ، وقد وقع في نسبهم اختلاف كما وقع
في نسب غيرهم ، فمن المؤرخين من يزعم أنهم من بني نمار بن
زار ، والذي نعتقد أنه صحيح أنهم من القبائل القحطانية ،
ويدخل فيهم من القبائل العدنانية بنو مالك (أهل تمنية) وبنو
شبية (أهل المسقى والقرقاء) فزعم من عذر كما ذكر الهداني -
ويدخل فيهم أيضاً (المواسج) ويسمون الآن (المواشر) وهم
أهل مدينة جرش وهم من (حجير) ويدخل فيهم (كود) وهم
من (عذر) .

٢ - قبائل جنب بن سعد وهم شريف وسنحان . ومنهم
(عبيدة) وقد ذكر بعض المؤرخين أن عبيدة اسم لأم هذه القبيلة ،
وهي عبيدة بنت معلل بن ربيعة التثليبي الذي تزوج إلى بلاد
(جنب) في زمن حرب البسوس ، وقد ذكر بعض النسابة أن

قبيلة (جنب) أجبروا مهلهلا على تزويج ابنة عمه منهم وفي ذلك يقول مهلهل :

أتكحها فقصدها الأراقم
في (جنب) والحياء من آدم
لو (بابائين) جاء يخطبها

خضب آف خاطب ما بدم
وفيه من القبائل المدفانية بنو قريظة بن اراثة من (عنز) ،
ويطلق عليهم الآن (ريدة) ويوجد في جبال ريدة في تهامة
جبل عظيم يسمونه (مهلهل) . ويسكن السراة أيضا (بنو بشر)
وقد وقع في نسيم اخلاف ، فمنهم من ينسبهم إلى (الأزد)
ومنهم من يزعم أنهم من (بلحارث بن كعب) وآخر قبائل المنطقة
شرقا لجنوب قبائل وادعة وهي قبيلة أزدية ، أما قبائل تهامة فمصر ،
فيتنبدى غربا للشمال من قبائل المجاردة وبارق ، فإن هاتين
القبيلتين (أزدية) وكذلك قبائل آل (موسى) في محاسيل
وريدة المقاطرة والصوالمية ثم المنجعة وهذه القبائل (أزدية)
ثم يليهم قبائل (رجال الملح) وألم اسم لجدهم ، وهو من القبائل
التهجماتية . وهم عشر قبائل كالأتي : بنو ظالم . بنو قطبة . بنو
الموسى . البناء . بنو شحب . بنو زيد . وأهل صلب . بنو جوة . بنو
قيس . شديدة . ويذكر بعض المؤرخين أن أهل صلب وبنو
زيد يقال لهم (بنو بكر) . وبنو قيس ، وبنو جوة يقال لهم

(بنو مسعود) وهذه القبائل الأربع يزعم بعضهم بأنهم من
القبائل المدفانية .

أما قبائل السهول ، فهم كالأتي : أهل المصبة ، والنهر ، وآل
سليمان . والمسارة من عبيدة ، والحياب من سحان ،
قبائل أهل العين وتثليث والأمواء ، فهم من الجحادر من قحطان
وقبائلهم كالأتي : آل سعد . آل عاتق . المشاطة . آل الجسل
وتفرع منهم آل سويدان وآل مسعود وغيرهم (١) .

ورغم ما في هذه البحوث من ملاحظات فإن منطقة عسير
اليوم تضم مناطق أوسع من البقعة التي تقم فيها قبيلة عير
وأشهر القبائل في المنطقة كلها .

* * *

(١) رحلات في عسير يحكي ابراهيم الالمى ص ٤٩ - ٥٠ .

- ٥٣ -

- ٥٢ -

www.asirnet.net

الفصل الثاني

قبيلة عسير

قبيلة عير حلف من القبائل ذات الأصول المختلفة
ولكن كثرتها من أزد السراة وفيها عناصر من قحطان وشهران
وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط
الناتجة عن الغلبة والسلطان والمهاجرة والولاء ، وإن إرجاع
أساب القبائل العربية الماصرة إلى أصولها أمر هو من الصعوبة
بمكان عظيم نظرا للاختلاط الذي حصل خلال الزمن الطويل في
الجزيرة العربية ، أن قبيلة عير يمانية تنزرت .

وأهل عير أشد العرب نفرة من الأجانب ، وأبعد العرب
عن المدنية ، كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ،
بل ممادية بعضها لبعض ، ولا يزال في الجهة الشرقية الجنوبية
من أولئك الأعراب الذين يسكنون مسلك الأقدمين في الاستقلال
والقتال ، فهم لا يدينون لأصحاب اليمن ، ولأصحاب عير ،
ولا لأصحاب نجد والحجاز وذلك كما يقول الريحاني في كتابه
« نجد وملحقاته » .

وعير أربعة قبائل كبرى هم « مفيد » و « علكم »

ويقال لهما ولد أسلم ، وهما شوكية عير وأكثرهم عدداً ،
و « ريدة ريدة » و « بنو مالك » وجسيمهم يعدون على وجه
التقريب مائة ألف أو يزيدون .

وتتعد منازلهم شرقاً إلى قبيلة شهران « قرية حجلة » وما
حاذها ، وغرباً إلى منازل قبيلة ألمع ومشارف الجبال ، وجنوباً
إلى منازل قحطان وبعض من شهران ، وشمالاً إلى منازل قبيلة
بالأحمر أو المكان المعروف بالدرجة وهو السهب الممتد إلى مواطن
قبيلة بالأحمر ، أو بمباراة أخرى تمتد من جبل (تمنية) وعقبة
انفرون من جهة الجنوب إلى وادي (تيه) وعقبة شمار في الشمال ،
فلولها يبلغ خمسين كيلو متراً ، وعرضها بين منازل رجال ألمع
في الغرب وسهوب بلاد شهران في الشرق يصل إلى أربعين
كيلو متراً .

١- بنو مفيد : إحدى قبائل عير ، وتضم عدداً من
النبطون يحدوا من الشرق بنو مالك ومن الغرب بنو زيد أحد
بنو ألمع ، ومن الشمال علكم ، ومن الجنوب بنو مزان وهم فرع من
علكم ، ويوجد لها فروع خارج المنطقة هذه كآل يزيد الشفيع
حيث يقيمون جنوب بني مزان . وهناك قبيلة بني أنصار وتعرف
أدى العامة باسم « بدو ريدة » وتقتل قرب درب بني شعبة على
طريق أها - جيزان . وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين : قسم
يسكن السراة والآخر يقيم في تهامة وهو في الواقع ينسب بني

- ٥٥ -

- ٥٤ -

www.asirnet.net

مفيد ، ويفصل بين القسمين جبل يعط على تهامة بارتفاع كبير ،
ويعرف باسم جبل الطور .

ويعتبر بنو مفيد أن لهم الحق في حمل لواء عير ولعل ذلك
بسبب كون آخر أمراء المنطقة منهم ، وقد يسبب هذا بعض
المنافسات ، وحلت المشكلة في النهاية بأن يحمل هذا اللواء مندوب
من قبل الحكومة .

ويصل تعداد بني مفيد إلى أكثر من ثلاثين ألف نسمة
ويصل عدد قراهم إلى الستين قرية ، ولكل قرية نائب يرشحه
أهل القرية للمحافظة على العادات والتقاليد ، ويشملهم في كل
شأن يخص القرية أو القبيلة .
وهم أربعة أفخاذ هي :

١- آل ناجح : ومنهم آل يزيد ، وهم رؤوس عير ،
ويقولون : إنهم ينتسبون إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة
الأموي الثاني ، وقد قدموا إلى المنطقة بعد زوال دولة بني أمية في
الشام وملاحقة بني العباس لهم ، وعندما وصلوا إلى المنطقة
تطافوا مع بني مفيد .

ويذكر ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » أنه كان ليزيد بن
معاوية خمسة عشر ولداً ذكراً هم : معاوية ، وخالد وأبو سفيان
وأهمهم أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ،
وعبد العزيز وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وعبد الله
الأسير : وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد

وزيد ، وجرب ، وعير ، وعثمان وهؤلاء أهمهم أمهات أولاد .
وله من البنات خمس هن : عاتكة ، ورملة ، وأم عبد الرحمن ،
 وأم يزيد ، وأم محمد .

ويقول ابن كثير : وقد انقضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب .
والواقع أن رأي ابن كثير غير مقبول إذ من المستبعد أن
يتفرس نسل خمسة عشر ذكراً فلم يتجب أحدهم في حين كان
يتزوج الواحد منهم عدة نساء وإنا الذي يبدو صحيحاً أن قيام
دولة بني العباس وملاحقة الأمويين ومنهم أبناء يزيد وأحفادهم
قد جعلهم يماردون المنطقة التي كانوا فيها وهي دمشق ونجف
إلى مناطق ثانية فلم يعد يعرف لهم أثر في منطقتهم التي نشؤوا
فيها وبخاصة أن هذا لم يحدث بعد مدة طويلة من أيام يزيد إذ
دارت الدائرة على بني أمية ولم يبق على وفاة يزيد أكثر من
ثمانية وستين عاماً فقد يكون بعض أبنائه لا يزالون أحياء ، وعندما
وصلوا إلى مناطقهم الجديدة التي حلوا فيها لم يشتهر أمرهم
فيها إذ لم يعرفوا على أنفسهم خوفاً من بطش السلطة بهم وهي
التي تدين بالولاء لخصومهم بني العباس كما أن التاريخ لم يؤرخ
- مع الأسف - إلا للأمراء والملوك فنبههم عندما أعلنوا عن
أنفسهم وقت ضعفت سلطة بني العباس . وقد تكون أسر أخرى
تنسب إلى يزيد في جات ثانية . ولهذا عندما قال ابن كثير بأنهم
قد انقضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب فهو صادق مع نفسه إذ لم

- ٥٧ -

- ٥٦ -

www.asirnet.net

يسمع حتى إمامه بأحد ينتهي إليه في منطقة دمشق أو بأخر طارت
شهرته في منطقة ثانية .

وهم الذين يصلون رايات عسير في الحروب ، والراية قطعة
من قماش خضراء ، طولها خمسة أذرع ، وعرضها ذراعان ، كتب
عليها في الأعلى لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الأسفل نصر من
الله وفتح قريب .

٢٦ - آل عبد العزيز .

٢٧ - آل وازع .

٢٨ - آل مفيد الوطني ومنهم آل الشرف وآل يزيد
الشف الذين دخل معهم آخرون بالمصاهرة والحلف .

ويعتبر بنو مفيد فيقولون : « انقسم مفيد الخطي » .

ب - علكم : وهم ستة أقسام منهم : بنو مازن ، وبنو
الفرز ، وأهل المضاعة بقرب الشف ، وأهل القصير ، وآل
سميدي وثلاثة عبدل ، وآل قاسم ومنهم آل عباس الذين عرفوا
بعلمهم في المنطقة كلها ، وتفتخر علكم فتقول عن نفسها علكم
الهل .

ج - دبيعة وديعة : فريضة أربع عشائر هي : تيهان ،
وبنو نوعة وآل شدادي ، وبنو غني ، وآل عاصم ، وتقول دبيعة
عن نفسها « دبيعة مسأكة العرب » .

وربيعة خمس عشائر هي : آل الحارث ، وأهل طب ،
وأهل الغال ، والتلدة ، والرفقين .

د - بنو مالك : وهم أهل الصت ، وهم ثمانية أقسام

- ٥٨ -

www.asirnet.net

٧ - المصاحبة ويستنون بيع البهارات وما شاكلها .
وجرت العادة ألا تزوج بطون عسير القوية مع هذه
القبائل التي تتبعها للاختلاف في المستوى الاجتماعي .

كما جرت العادة في سائر بلاد السراة وشهران وقحطان أن
يكون لكل قبيلة في السراة أتباع من القبائل في تهامة ، ومن أشهر
هذه القبائل التي تتبع في تهامة وترتبط مع قبائل عسير هي :

آ - المقيدون : ويتبعون بني مفيد .

ب - أم قلة : ويتبعون علكم .

ج - سكان وادي مرة : ويتبعون بني مفيد وعلكم .

د - دبيعة البين : وتحتسب من ملحقات بني مفيد ، وتقيم
في وادي ضلع إلى الجنوب الغربي من مدينة أبها وحتى التثالة
بوادي عتود التهامي ، ولا تزال أقرب إلى البداوة ، وتعيش على
الرعي ، ولا يزال عندها بعض المادرات الغريبة وإن زال أكثرها
وبقي بعضها في الخفاء ، وأهمها الخفلات التي تقوم أثناء عملية
الختان التي تتم بسلخ الجلد ، ويضربها الرجال والنساء على حد
سواء . وبخاصة الفتيات الأكار ، وتتم العملية والمختون عار ،
ولا يمتن إلا من بلغ سن الرجال ، هذا إضافة إلى الاختلاط .
ولا يضع الرجال على رؤوسهم شيئاً بينما تضع النساء قمعات
من القش أو عشب التخل على رؤوسهن وفي الوقت نفسه فالتقبيلة
أهل كرم وضيافة .

- ٦٠ -

www.asirnet.net

العادات الاجتماعية لقبائل عسير

ينقسم أهل عسير إلى قسمين : « القبيلي » وهو الذي
يتصل إلى قبيلة عظيمة ذات نسب وقوة ، وهو مزارع بالدرجة
الأولى ، و « الطرف » وهو غير الأصل ويمتنع حرفة بشكل عام .

والأطراف أنواع منهم الصناع ، والبلاحة وهم أدنى
الأطراف ، والقبوض ، والهوم . ولا يصاهر « القبيلي » الأطراف
فلا يزوجه ولا يتزوج منهم . ولكن الزواج يتم بين الأطراف
بعضهم مع بعض ، وإن كان بعضهم يتصر باعتلاء مكانته على
بعض الآخر ، وهم يمتزجون بضعهم أمام القبيلين ، وعدد الأطراف
قليل إذ لا تتجاوز نسبتهم ٥/١ فقط .

ومن المادرات الميزة عند قبائل عسير والملاحظة :

١ - الختان : ويسمى « تطهير » ، ويعمل للشباب الذي
يراد ختته ملابس خاصة ، وتشكيلة معينة في الشعر ، ولا تتم
عملية الختان إلا بعد أن يتجاوز الشاب سن البلوغ ، وتتم بين
جميع غير من أبناء قبيلته وأحواله وأقارب أسرته جميعاً سواء
كانوا من قبيلته أم من غيرها ، ويختن أمام الأشهاد ، والغرض
من ذلك إظهار شجاعة الرجل المختون ، ويعلم قبل إجراء العملية
له أبنائه من الشعر قد تصل في بعض الأحيان إلى الثلاثين بيتاً
وتسمى « قاف » تتضمن مديحاً لأهله وأحواله وإظهار محاسنهم

- ٦٢ -

www.asirnet.net

أشهرها : آل علي الذين منهم آل خضرا وقد عرفوا بالمعلم .
وبنو منبه ، وآل الجيني ، وبنو رزام ، وآل المجبل ، وآل رمان ،
وبنو ربيعة ، والتلدة أيضاً .

ويتبع عسير عدد من القبائل الضعيفة دون الأولى في المركز
الاجتماعي وذلك بسبب قوة الشوكة والكسبة ، كما أنها حسي
تختلف فيما بينها ، كما لها فروع في المناطق الثانية وبين القبائل
التي تقيم في البقاع الأخرى من السراة كشهراة وقحطان ورجبال
الحجر ، وأهم هذه القبائل :

١ - البلاحة : وهم الذين يستجدون بمديهم ومع هذا
فيمرغون بالكرم وحسن الضيافة .

٢ - الفيوض : وهم كالأجراء ، ويمسكون في صناعة النسيج
اليدوي ، فيزولون وينسجون وير الحيوانات وشعرها على شكل
فرشات مستطيلة .

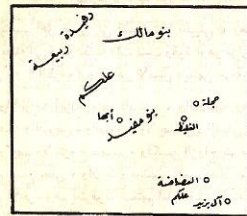
٣ - الهتان : وهم من الطبقات الوضيعة ، ولا يمتزجون
بالجبل ، ويمرغون باسم « الهوم » ، ويمتد هذا الاسم سبة
وعاراً وكلمة شتيمة .

٤ - الكحلة : وهم ذوو مستوى رفيع ومع هذا فالقبائل
القوية لا تناسبهم ولا تصاهرهم .

٥ - الدواسر : وهم غير القبيلة العربية المروفة ذات
المكائة واللمعة ، وأصل هؤلاء من الأرقاء .

٦ - العبيد : وهم الذين يصلون لون البشرة الأسود .

- ٥٩ -



- ٦١ -

وإبداء مناقبهم . ويقدم الأخوال في هذه المناسبة مبلغاً من المال
لوالد ابن أختهم ، ويسمى هذا المبلغ « جود » وهم أشد حرصاً
على تقديم مبلغ أكبر حتى يسلمهم المديح ، وحتى لا يحلمهم ابن
أختهم شيئاً من المار فيما إذا أبدى تخوفاً أو اضطراباً لأن من
الشائع أن الولد يشبه أحواله ، ومن التقديم قيل « كادت المرأة
أن تلد أخاها » ، وقد بدأت هذه العادة تقل وتضحل ، وإن
بقيت واضحة عند « بدو ربيعة » و « بدو وادي مرة » ويشكل
أكثر قسوة وأشنع عيباً .

٢ - الزواج : إن الأمر الشائع منذ مدة طويلة أن
الجدال كثير في عسير والصداق قليل ، ولهذا كانت الأسواق
تنفس براغيي الزواج ، وكثيراً ما يدور هذا الحديث بين زوار
المنطقة وضيوفها ولكن يظهر أن قلة الصداق إنما هو لأهل المنطقة
لا لسواهم ، ولا يختلف الجمل كثيراً عن بقية المناطق ، ونساء
السراة على العموم تقلب في وجوههن الاستدارة ، ويشير عن
أهل التهامي بإشراق اللون وصفته ، والاعتدال في قاماتهم ،
وشموههن على العموم حالكة السواد لهن في تصفيتهن وضفرها
صناعة خاصة .

ومن المادرات الشائعة أن البنت لا تتزوج حتى تبلغ سن
الخامسة والعشرين من عمرها لأن أهلها يريدون أن يستفيدوا منها
في العمل في المزارع .

- ٦٣ -

والصدق ليس من نصيب الفتاة وإنما من حظ والدها وفيه أحياناً من الطبع الشيء الكثير .

ومن الشائع أن يتعرف الشاب على فتاته قبل عقد النكاح في إحدى المناسبات من زواج أو ختان أو في الأسواق ، وبخاصة أن المرأة لا تنفي وجهها .

ويتفق الرجل الكثير من المال في زواجه ، وبخاصة في كسوة أهل خطبته قبل أن تنتقل إلى داره والمال والويل للزوج الذي لم يفعل ذلك ، والذين يكسومهم عادة إخوة وأخوات المرسوس وخالاتها وأعمامها وعصاتها وما أكثرهم إن كان الزوج غريباً أو غنياً .

ويعطي والد الفتاة ابنة بعض الحاجيات أثناء انتقالها ينسأ يقدم رجلها في المستقبل العلي من مجوهرات وغيرها .

وللمرأة مطلق الحرية في اختيار الزوج فإذا ما تقدم لخطبتها أحد - وغالباً ما تراه - ولم يعجبها إبت وامتنعت بكل صراحة ، ولا تقع أية محاولة من ذويها لحملها على القبول والاستجابة . وهن صريحات في قول لا أو نعم ، وحتى لو حصل الرضا ثم لم تستطع معاشرته ترك يرثا الزوجية وتقول : « شئتنيته » أي كرهته ، ولا يحصل في الغالب اعنات من الزوج ودعوى بالمشور ، ويكون له إذ ذاك حق المطالبة بما دفع في صداقتها ، فإن رد إليه وإلا جعل ذمة له عليها ، ويكون على حداثتهم « في رأسها كذا » يسدونها من صداقتها في زواجها الجديد إن كان .

- ٦٤ -

ومما هو متعارف في عسير نوع من الزواج يسمى « زواج السر » ومناه أن يقع في أشد الغطاء ، أي دون إعلان وتشهير بالمقد ، وهو أكثر ما يقع مع الثنيات ومن يمشي فور زوجه أخرى لديه أو من ليس له إقامة طويلة في القرية وغالباً ما يكون قصير الأجل ^(١) .

وعندما يريد الرجل أن يأخذ زوجه من دار أهلها يسير مع عصبية من أهله وذويه . ويتم عادة حفلة لجماعته وأقاربه ، وبعد هذه الحفلة يقوم الشباب ببعض الألعاب وتسمى « سمر » وتنتشر حتى التجر ثم ينتفرون . وفي اليوم التالي تأتي النساء من القرى المجاورة ، وهذا اليوم هو أحسن الأيام عندهن ، حيث تلبس النساء فيه أحسن الملابس وأجملها ، وقد تساح للفتيات منهن فرص للزواج قد لا تتاح في غير هذا اليوم .

ومع ما يشاع - كما ذكرنا - من كثرة وجود القتيات الراغبات في الزواج ، فإن كثيراً من الرجال ما يقعد بهم العظ ولا يجدون الذي يفتشون عنه حتى أن بعضهم قد أشهد وقد ضاق ذرعاً بقعود حفلة :

إن أهلاً وعرساً كالليدي في الشل
زعم البعض أنها خير زل لمن زل

(١) في ديوع عسير محمد عمر عير ص ٢٤ طبعة عام ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م - دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة .

- ٦٥ - (دائرة المعارف - الكويت الطبعة)

www.asirnet.net

خدع الناس قوله زخرف القول من نقل
٢ - **الصعوات والمناسبات** : قد يدعو المرء أقاربه دعوة خاصة ، وقد تكون مناسبة زواج ، أو ختان ، أو أية مناسبة أخرى يأتي المدعون في اليوم المحدد مع عدد من جماعتهم ، وكل يصل يديته يوم كانت تحمل البنادق ومسوح بذلك - وعند اقترابهم من قرية المضيف يكون الداعون في انتظارهم وفي أيديهم أيضاً بنادقهم فيبادلون الطلقات النارية تيمناً عن الحب بينهم ، وعندما تبقى بين الجماعتين مسافة قصيرة يتوقف إطلاق النار ويبدأ الترحيب بالكلام ورد المدعسون على الترحيب بما يسمى « الردودة » وهي عبارة عن كلام يوضحون فيه سبب قدومهم ويبينون المبلغ الذي يحملونه ويتزولون يوماً في بيت صاحب الدعوة ثم ينتفرون على منازل أهل القرية

وحتى يقوم صاحب الدعوة بواجبه ، عليه أن يقدم أنواع الطعام جيدها ، وقد تحمل الكثير من الديون بهذا السبب ، بل هو الشائع لقرى المنطقة النسبي .

والكرم الزائد عن الحد هو السائد بينهم وكان كل شخص يحاول إثبات وجوده بين جماعته وأفراد قبيلته به .

٤ - **الزاة** : لا تحجب المرأة في عسير أي لا تنفي وجهها ، وإنما لباس الحشمة هو الشائع بين النساء جميعاً ، وهن يعملن مع

- ٦٦ -

www.asirnet.net

رأسها القبة « القفشة » وإن كانت أصغر مقاييس مع طول في التجويف الخاص بالرأس ، وقد تسير مسافة طويلة دون نمل . ويعمل سكان القرى في الزراعة ، وفي تربية الحيوان ، وكثيراً ما يكون مركز الرجل حسيماً يملكه من أرض أو من عدد قطع للحيوان ، ويعمل « البدو » في الرعي فقط ، ولذا فهم يملكون ثروة حيوانية أكبر وبخاصة من الأغنام .

وقد اتجه عدد غير قليل من السكان اليوم إلى العمل في وظائف الدولة ، وانصرف أبناؤهم نحو المدارس وتحصيل العلم .
٥ - **الرجل** : كان الرجل حاسر الرأس أما الآن فقد أصبح يضع على رأسه « القتر » وذلك منذ أن أصبحت المنطقة جزءاً من المملكة العربية السعودية ، ويلبسون في الشتاء العباءة ويسمون « الشملة » وتتخذ من أصواف الأغنام ، وتعاك إلى ما تحت الركبة بقليل حتى لاتمتص الحركة . ويسمون على أوساطهم « الجنابي » وبعضها ما يحلى بالقضة ، وتوضع داخل غمد من الجلد يسمى « مبيشة » وبعضها ما هو مقفوف الرأس منها ما هو منسقيته ، أما الثياب الأخرى فهي عادة ، الشوب المرفوف في المنطقة كلها وإن كان يبدو هنا قصيراً قليلاً ، ولونه أبيض ، ينسأ ثوب المرأة أحمر أو أسود .

٦ - **الألعاب** : يصنف الرجال متراصين على شكل صفوف ، يتوسط الصف الأول حملة الطبول والدفوف ويواجههم ملحن الفناء فينشأ ما يريد ، وتفرع الطبول والدفوف على ترجيه ، ويردد

- ٦٨ -

www.asirnet.net

الرجال في الحقل وهذا شأن أكثر المناطق الزراعية وبخاصة وقت الحصاد وجني المحصول وتعمل المرأة مع الرجل في شؤونه كلها إضافة إلى عملها الخاص الموكلة به وهو تدبير المنزل ، وفي جلب الماء وإحضار الحطب ، وقلدا تعمل المرأة في الحياة إذ أن هذه المهنة من اختصاص الرجل .

ومن النساء الشاعرة في المنطقة زهرة ، وطيبة ، ونجدة ، وملاك ، ويلي

وتلبس النساء سراويل وقمصان ، وغالباً ما تكون القمصان سوداء معلقة على الصدر بأشكال من التزيين اليدوي بالحريز المختلف الألوان . وتضع المرأة على رأسها خارج منزلها سواء في الحقل أم في السوق قبة من سف النخل أو من القش تقها من أشعة الشمس ، وتسمى « القفشة » ، وتكون على شكل دائري مجوفة في وسطها لدخول الرأس ، وتشد خصرها بعزام من الجلد ، وقد يكون من القشة وتجعل المرأة المتزوجة فوق رأسها خماراً أسود ، ينسأ تكتفي الفتاة البكر بتدليل أصغر اللون أو أحمر منقطة بالسواد وترتبطه أسفل الرقبة ، وتنسأ النساء بأثواب من الألياب كالريضان ويكثرن منه على الرأس ويرف باسم « مكس » .

والمرأة عند البدو أكثر مشاركة للرجال في أعمالهم حتى في التجارة والسفر على ظهور الإبل ، وتلبس البدوية إذاً من قماش مصبوغ بصباغ أزرق ووداد من النوع نفسه ، كما تضع على

- ٦٧ -

اللاعبون في الصفوف ماقاله مع القفر وشرب أرجلهم على الأرض واقتن مرة وسائر أخرى في شكل دائري ، وقد يواجههم أحياناً رجل آخر حاملاً « جبينه » وقد استلها من غدها ، ويقفز بخفة ويصيح بكلمات عالية لا يفهمها الغريب عادة لأنها باللهجة المحلية .

٧ - **التعاون** : وأجل ما في عسير التعاون الذي يسود بين أهلها ويبدو هذا في مساعدة الشخص الذي تحمل به نازلة أو تصببه نكية إذ يسرع أفراد القبيلة والقرية إلى التوضيح عنه وبناء يته إن تقدم وإعطائه ما فقد ، وتبدو في استقبال أهل القرية للمضيف القادم إلى أحد أبنائها مهما كان وضعه الاجتماعي ويتقدمهم كبار القبيلة ومعه الوجاه يرافقون المضيف يرحبون بالمضيف ويسرون معه إلى البيت الذي سيحل فيه ، كما تساعد القرية المضيف في إزاله ضيوفه وإكرامهم ودعوتهم ، خاصة إن كان عددهم تنسيق به دار المضيف وحالته . وهناك لجنة قبلية منتخبة في كل قرية وغالباً ما يكون عددها ثلاثة أفراد تقوم بجمع عشر محصول الأرض من المزارعين ، وهذا الناتج يكون للغزو وقرى المضيف ومساعدة المحتاج وإطعام أبناء السبيل ، ويصرف كذلك للمسجد وتجهيز الموتى الفقراء وحفر الآبار .

كما يبدو التعاون في مساعدة بعضهم بعضاً في البناء والحصاد وجني الموسم ومساعدة من يفتقد الفجر عن الزواج ، ويسمون لعدم رفع المهور ومايقون من بغالي في الصداق .

- ٦٩ -

وكانت هناك بعض المادرات السيئة وقد زالت - والله الحمد - ومنها ما يتكبد الذي يموت له بعض أفراد أسرته فينزل عنده العديد من الرجال للزراء ويسمون ذلك « القراش » فيذبح لهم كل ما يملك أو أكثره خلال الأيام الثلاثة التي يتقون فيها بداره ومنها ما يأخذه بعض أكابرهم باسم المسؤولية وقد انتهت أيام هذا كله .

٨ - الصفات : وينتاز أهل عسير بالشجاعة وثبات الجأش عند اللقضاء ، ويجوبون اقتناء السلاح كما يرغبون في الانخراط في صفوف الجيش إذ يعرفون بالطاعة التي يتركونها إن أصابهم ضيم أو لحق بهم أذى .

٩ - اللهجة : لأهل عسير لهجة خاصة وهي تفسر بعض الأحرف وقلها في اللفظ ومنها :

قلب الجيسم ياء فيقولون : يياء ، مسيد ، ورسال بدلا من جاء ، مسجد ، رجال .

وقلب التون راه فيقولون : حلي برعقوب .
من حلي بن يعقوب .

قلب « ال » التعريف أم فيقولون : اممسي ،
امناصر : امقضية بدلا من المي ، والناصر ، والقضية .

ومثل : ليس من امير امصيام في امسفر ، عوضا عن : « ليس من البر الصيام امسفر » (١)

قلب الكاف شيئا وبخاصة لخطبة الأئمة فيقولون :
ماحائل وحال أيوش ؟ ويقصدون كيف حالكم وحال أيوك ؟ .

ويستعملون كلمة « نم » بدلا من « هنالك » بشكل طبيعي .

كما يستعملون الجمل الاعتراضية ومعطها دعائية للخطاب .

(١) حديث شريف رواه كعب بن عاصم الأشعري ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من امير امصيام في امسفر » مسند الإمام احمد ٢٤/٥ .

الوكلاء في عسير

أهسا : لعل من أشهر مراكز المنطقة كاملة « أهسا » وهي حاضرتها ، ومركز قبائل عسير وقاعدة بني مفيد ، تقع في الجانب الشرقي من جبال عسير ، في واحة بين جبال جرداء ، وتتوسط الواحة ربوة تسمى « رأس أمسح » حيث أقام الأمير محمد بن عائض قصره المسمى « شذا » حيث يشرف من طرفه الشمالي الغربي على منطقة قصبية تعرف باسم « البحار » وكذا من الشرق على منطقة منبسطة يقوم فيها السوق الأسبوعي ، وهذا يسكن الدفاع عنه .

ويوجد فيها واديان أحدهما اسمه « وادي أهسا » أو « التمشيربان » والثاني اسمه « ضباة » ويجريان إن كانا التمهطل غزيرا ، وقد يتدفق الماء فيها عدة أيام ، ومعظم آبار البلدة في هذين الوادين وأغذيها بئر « نمسان » وبئر « التجلة » . ويعرف وادي أهسا قبل وصوله المدينة باسم « خبيبي » .

ومدينة أهسا بلدة غير قديمة فهي غير معروفة في التاريخ (١) وإنما الذي عرف إنما هو وادي أهسا فعندما انشئت عرفت باسمه ،

(١) كما ورد أنها كانت معروفة في التاريخ منذ القدم وباسم « أهسا » أو « أهسا » أو « هيسا » وأن الأبل التي كانت تحمل هدايا للنبي سيدنا سليمان كانت منها .

وضمت عدة أحياء حولت اسم الوادي ، وبدأت تنمو عندما اتخذها علي بن مجتل قاعدة له .

وتحيط الجبال بها من كل جهة ، وقد أقيمت على قممها قلاع تحمي المدينة إضافة إلى حمايتها من جهة الغرب بسبب صعوبة الانتقال من تهامة إلى السراة والذي لا يتم إلا عن طريق عدد من المقاتلات لا يرتقيها إلا الإنسان إلا بكثير من الصعوبة .

ومن أهم هذه القلاع المحيطة بها :

١ - قلعة ضلع : وهي تتحكم بوادي ضلع حيث المقبة المعروفة بهذا الاسم .

٢ - قلعة ذرة : وتقع على جبل ذرة الذي يقع شمال شرقي قلعة ضلع ، والقلعة القائمة على هذا الجبل حفرت تحتها بيوت داخل الصخر .

٣ - قلعة شسان : وتقع شمال لمدينة أهسا وتحكم في الطريق الشمالية القادمة من عنتي « شعار » و « الصماء » . وقد وصلت هذه القلاع بعضها مع بعض بطرق جبلية مهيمة وبخاصة أيام المتصرف التركي محي الدين باشا .

تقع أهسا على ارتفاع ٢١٧٠ متر عن سطح البحر مما يجعل الضغط الجوي منخفضا الأمر الذي يجعل القادم إليها يشرب بالثعب وبخاصة من يأتي من منطقة قليلة الارتفاع ويستمر هذا عدة أشهر حتى يتعود على مناخها العذب وهوائها الليل .

وتتألف مدينة أهسا من عدد من القرى أقيمت على طول مجرى وادي أهسا وتمتد باتجاه سيره من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ، وهذه القرى هي :

١ - المناظر : وهي أصل المدينة واليوم هي من أحيائها ، وكانت في الأصل قصر للأمير عائض بن علي بن وهاس ثم أقيم على أبقاضه قصر الأمير سعيد بن عائض سمي بقصر مازن .

٢ - المنقاعة : وهي أول الأحياء من جهة الغرب وتقع إلى الشرق من الوادي ، واحتفظت علي بن مجتل قلعتها فيها .

٣ - القرى : وتلي المنقاعة .

٤ - النسان : وأكثر سكانه من موالي آل عائض .

٥ - الربوع : وكانت تقام فيها سوق يوم الأربعاء فسميت بها على عادة أهل تلك المنطقة .

٦ - شذا : وفيها القصر الذي بناه الأمير محمد بن عائض عندما قل مركز حكمه من بلدة « ريدة » إلى أهسا ، وفيها الآن قصر الحكم ومركز الزيارات واللاسلكي ، وقد أقيم قصر الحكومة على أبقاض الشكة المسكرة المشافية .

أما إلى الشرق من حي المناظر فتوجد القرى أو الأحياء الآتية :

١ - البديع : وهو يقع غربي المناظر .
٢ - الخشع .
٣ - النصب .

٤ - المقابل : كان قصرا للأمير سالم بن عبد الله بن إبراهيم ابن عائض ومنه سمي الحي ، وعلى أبقاضه أقيم الأمير محمد بن عائض قصرا لم تزل أملاؤه مائة ، مقابل قصر باشوات متصرفية عسير . وهو الحي الوحيد القائم على الجانب الغربي من الوادي ، وقد كان يسكن فيه متصرف عسير سليمان شقيق الكمالي ، ثم محي الدين باشا من بعده ، وكان جسر يربط بين هذا الحي وبقية الأحياء . وعند ملتقى وادي أهسا بوادي « جوخان » المنحدر من الجبال والمقبات الواقعة جنوبي أهسا وعلى مقربة من قرى « القاعد » و « الدارة » كان الوادي يشكل مستنقعا وغدرانسا عشية أمكن للأسماك أن تتوالد فيه .

وعند هذه القدران كان يوجد قبر ينسب لغزي القرين وقد هدم يوم دخلت الحملات الإخوانية من جيوش نجد المنطقة . ويقول الهمداني : « إنه عثر على هذا القبر في رأس الثلاثمائة من الهجرة » وهو القبرين هذا هو بنيان وليين الاسكندر القدوني . وقد اختلف في نسب هذا الرجل الباني فمنهم من قال : هو الهيمسح بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلال .

ومنهم من قال : هو الصعب ذو القرنين السيار بن مالك « بن الجارث الأعلى بن النخار بن مالك بن زيد بن كهلال » .

ومنهم من قال : هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن سدد « بن حبير الأسمر » وقد نسب هذا القول الأخير إلى علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس .

وزيد عدد سكان أها اليوم على خمسة وعشرين ألف نسمة ويوتها من الطين والحجارة وقد يتردد بعضها بنوع واحد من مادتي البناء هاتين ، وقد بدأ العمران الحديث يكثر فيها يوماً بعد يوم .

ومدينة أها عتدة مواصلات هامة فهي تتصل مع :

أ - هامة : عن طريق يتجه من أها نحو الجنوب الغربي إلى عتبة ضلع ومنها إلى وادي « عشود » إلى « القصبة » و « درب بني شمية » و « صيبا » و « جيزان » وإن لم يكن هذا الطريق بمدتبيهاً إلا أنه من مشروعات المنطقة .

ب - القنفذة : عن طريق عتبة شمار .

ج - رجال : عن طريق عتبة الصماء .

د - الحجاز : عن طريق بلاد بالأحمر والأسمر وبني عمرو وغامد وهران فأطائف .

هـ - شهران : حيث تبعد عن بلدة خيس مشيط ٢٧ كم فقط .

و - الين : عن طريق تنمية إلى بلاد قحطان ووادة ثم إلى صعدة ، وهي طريق وعرة .

ويسعد : بلدة عمرها الأمير عائش بن علي بن وهاس عام ٨٦٠ هـ ، واتخذها مقراً له وملجأ ، وهي الآن تحت يد ورتنه ، وقد دمرها الأتراك ١٢٩٠ هـ ، وسموها « صيدة » ، وتقع إلى الغرب من مدينة أها .

- ٧٦ -

جرهفة : بلدة عمرها الأمير يحيى بن عبد الرحمن بن علي عام ١١٢٢ هـ ، وهي الآن تحت يد ورتنه من آل عائش ، وقد دمرها الجيش السعودي أثناء احتلاله عام ١٣٤٠ هـ .

طيب : وهو واد حلت المدينة التي بنيت عليه اسمه ، وتقع في بلاد ربيعة رفيعة وقد اتخذها محمد بن عامر المعروف بأبي نطقة قاعدة له .

المسقى : وقد أصبحت مركز المنطقة عندما اتخذها الأمير سعيد بن مسلط قاعدة له عندما فاز على حكم محمد بن عبد المين بن عون عام ١٢٣٧ هـ .

السودة : قرية تقع إلى الغرب من أها تتبع قبيلة علكم ، وقد بنيت على ارتفاع ٢٥٠٠ م على قمة جبل فهي من أعلى قرى عسير ، وهذا ما يجعل مناخها عذبة ، وتحيط بها المروج من كل جهة ، وقد أصبح اسم هذه القرية يتردد على الألسن في الملكة كلها لما فيها من جمال الطبيعة .

- ٧٧ -

www.asirnet.net

الفصل الثالث

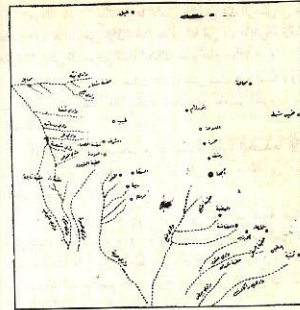
رجال العج

وهي أكبر القبائل في هامة ، وأكثرها عدداً إذ يبلغون مائة ألف أو يزيدون ، وهم في هامة كمسي في السراة ، وتقع بلادهم في الجهة الغربية من منطقة عسير يحدها من الشمال منطقة مطايل ومن الجنوب بلاد بني شمية وهي بلاد جبلية غالباً ، ويفسبون إلى قسطن :

ألم الشام : أو ألم الشمال ويفقدون بشك العدد الكلي كما لا تريد مساحة منازلهم عن هذه النسبة ومركزهم بلد « الشمين » وفيها الدوائر الحكومية .

وألم الين : أو ألم الجنوب وهم الثلاث وكذا تشمل مساحة بلادهم ، وأهم قرأهم بلدة « رجال » وقد كانت هذه في أيام خلت مركز المنطقة ، وهي أكبر من قريتها « الشمين » بضعة أضعاف على الأقل ، وإن كان لا تزال مركز المنطقة إلى « الشمين » أثر واضح في اتساعها ونموها .

ولطبيعة الأرض في هذا التقسيم شكل بارز يتصل في عتبة « كرز » التي تقع بين المدينتين فمن ينظر من ذروتها باتجاه الشمال يجد أرض ألم الشام تنحدر نحو الشمال مع سير وادي « حلي » وفروعها ، ومن يتجه نحو الجنوب تظهر له أرض ألم الين

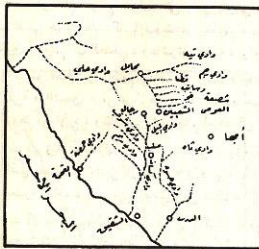


مصور المراكز البشرية في قبائل عسير

- ٧٨ -

www.asirnet.net

ومن الأشجار المنتشرة في المنطقة « الألب » وهو يشبه شجر الكينا في شكله ، والنبق ، والثلث ، والثلث ، والثلث الهندي ويسمونه « حمر » وحرار ويشبه التمر الهندي ، والجميز ويسمى البراء ، ويورد السكان الذرة والدخن بكثرة وكثيراً من المحصولات الزراعية الأخرى .



الأودية في بلاد رجال العج

وتتكون رجال العج من عدة بطون هي :

١ - بنو قيس بن مسعود : وتقع منازلهم في سفوح جبل قيس ووادي حسوة ، ويبلغ عددهم خمسة عشر ألفاً ، ولهم حقل

- ٨١ - (وزارة المعارف - الكويت العربية)

تيسل نحو الجنوب مع سير وادي « كسان » « ريم » و « عرمم » .

ومن الأودية المشهورة : « حلي » و « سانب » و « الشصعة » و « الموص » وهي من روافد « حلي » إضافة إلى « تبه » و « رجم » و « قضا » و « فو » ثم هناك روافد وادي « ريسم » وهي « رجال » و « الميل » و « شوقب » و « ثاه » و « حسو » ثم وادي عرمم .

ولما كانت القرى قليلة السكان لا تتوفر فيها الحاجيات الأساسية لذا فالأسواق تنام في المنطقة حيث تتجمع جموع كبيرة من الناس ، وتعرض فيها البضائع فيشتري السكان ما يحتاجون إليه ، واليوم المقرر للسكان معروف في القبائل كلها ، فالأحد في « الشمين » ، والآخرين والخميس في « رجال » ، والسيب عند « آل صلب » ، والثلاثاء في « ريم » (ثلوث ريم) ، والأربعاء في « البنا » (ربوع البنا) .

وتبنى القرى في قمم الجبال لتأخذ نصيبها من البرودة واعتدال الجو في ذلك المناخ الحار الرطب ، ولتكون في موقع حصين في تلك البقعة التي عرف بالتقال بين القبائل ، وقد تحف بها الجبال التي تكون فيها مراكز للمراقبة .

- ٨٠ -

www.asirnet.net

- ٨ - شديدة : ومن أودية هذه القبلة « ريم » و « عرم »
ويبلغ عددهم عشرة آلاف نسمة وهم من الأزد .
٩ - بنو العيص : كما يطلق عليهم آل العوص ، ويقبون
في وادي « العوص » وادي « خضعة » . وهذا من روافد وادي
« حلي » .
١٠ - البنا : ويقع منازلهم على ضفاف وادي « حلي » ولا
يزيد عددهم على عشرة آلاف .
١١ - الصيق : وتنسب إلى الصيق بن عمرو .



توزيع قبائل دجال المح

- ٨٢ -

اللواء في الحرب ، وهم من المدائنين ، ومن أشهر عائلاتهم آل
عبد المتعال .

- ٢ - بنو جوة : ومن أوديتهم « كسان » و « ريم » ويلقب
عددهم اثني عشر ألفاً أو يزيدون ، ويقال لهم ولبنو قيس
« بنو مسعود » .
٣ - بنو ظالم : ويقع منازلهم على وادي « حلي » ويزيد
عددهم على خمسة عشر ألفاً ، وينحدر معظمهم من الأزد
القحطانيين ، ومنهم آل الحظفي ، وحاضرهم مدينة « رجال » .
٤ - بنو قطبة : وموطنهم في أعالي وادي « حلي » ،
وتعتبر قرية « الشعين » من مراكزهم ، ويقدر عددهم بعشرة
آلاف ، وهم من الأزد ، ويقال لهم ولبنو ظالم أمرفقة أي الرفقة .
٥ - بنو زيد : ومنازلهم في وادي « حصوة » وفي سفوح
الجبل الذي يفصل بين وادي « حصوة » و « مرة » ، ويقدر
عددهم بعشرة آلاف ، وهم من المدائنين من تغلب .
٦ - آل صلب : ومراكزهم في وادي « كسان » ويقدر
عددهم بعشرة آلاف ، ويطلق عليهم اسم قبيلة بني بكر ، وأحياناً
يشمل هذا الاسم بني زيد أيضاً .
٧ - بنو شجب : ومنازلهم على عدوتي وادي « ريم » ،
ويصل عددهم إلى خمسة عشر ألفاً ، ويرجعون بأصولهم إلى
الأزد .

- ٨٢ -

www.asirnet.net

المادات الاجتماعية عند رجال النع

تشتهر قبائل رجال النع بالكرم الذي يصل إلى حد الاسراف
لكثرة الذبائح التي تقدم للضيف ، ومن أشهر الأطعمة المعروفة
لدهم « البركة » ، وتشتهر بها المنطقة كاملة ، وهي بر وسمن
وعسل ، ويتفنن الأهالي بصناعة أشكال عدة منها ، ثم هناك
« الثريف » وهو دخن ولبن وسمن ، وهناك « الحنيد » .

وحالة السكان المادية دون الوسط بشكل عام .

ومن المادات الاجتماعية المعروفة والتي لها طابع مميز
موضوع الزواج والختان .

فالزواج يتم بعد أن تحصل الموافقة على الفتاة ، فتذهب
جماعة من أهل الرجل قد تتجاوز الثلاثين أحياناً إلى أهل الفتاة ،
ويسمى هذا الجمع اسم « مكرسة » ، ويكون أهل الفتاة قد
استعدوا لذلك ، وذهبوا الذبائح ، وغرخوا إلى غلها الدار
يستقبلون أهل الرجل ، وقد يصطفون صفاً واحداً أو اثنين على
جانبي الطريق ، وما أن يهل أهل الرجل حتى يرتفع صوت من
المستقبلين « ارحبوا يا إخواننا وارجحوا » ويردد بقية المستقبلين
بعده المباراة بصوت مرتفع ، ويجب الضيوف « سلتم والسلام
عليكم » ثم يتصافحون ، ويسير الجمع إلى بيت ولي أمر الفتاة ،
ويتناولون في داره طعام العشاء ، ثم طعام الفطور

- ٨٤ -

www.asirnet.net

في الصباح ، ثم يتوزعون في بيوت القرية ضيوفاً لمدة يوم كامل ،
ثم يعودون إلى قراهم أو إلى بيوتاتهم إن كانوا من القرية نفسها ،
وبعد مدة يأتي أهل الفتاة إلى أهل الرجل ضيوفاً وبماملون
بالماملة نفسها . وعندما يتم الزفاف يذهب مع الفتاة عدد من
النساء وأهل القرية ، وتعرف النساء المرافقات باسم « حوادي » ،
ويسمى الرجال المرافقون لها « مكروحة » ، ويساعد الرجل بأن
يدفع له أصدقائه وأقربائه وغيرهم موعة مادية ومساعدة مالية
تعيه على إنعام حفلة الزفاف والولائم لأهل عروسة .

أما الختان فيجتمه له الناس قبل يوم من العملية ، وعادة
ما يكون اجتماعهم بعد العصر ، وتقام العرشات ، وتحدث المالبس
شعبية في الليل وتسمى « السيرة » ، وفي الصباح يعود الناس
للاجتماع ، ويكون أمام الشاب الذي ستجري له عملية الختان ،
فيختن أمامهم ، والويل لأهل من المار إن هو تالم أو أبدى أية
حركة ، ولهذا فإن الأهل يأبون أن يخطن ولدهم قبل بلوغ سن
الخامسة عشرة من عمره وقد يزيد ، وبعد الختان يرجع الناس
إلى بيت الوالد منين فتكون الذبائح قد أعدت والطعام قد
هيى . ويقدم أخوال المختون بعض المسال ويسمى « قنار »
ويعمل لهم استقبال ، ويخطب أحدهم بعد الاستقبال ، ويسمون
كلامه « ردة » . كما أن الفتاة تختن ولكن دون ولائم ، وفي
يومها السابغ وإن كانت تتم العملية بفعل نسائي مشهود .

ويعرف التعاون في رجال النع كما يعرف في المنطقة كلها ،

- ٨٥ -

أيضاً رعاية السبي والالتزام بنحوه بحقوق لا تجب للبر ، وذلك
إذا ولد لأحدهم ولد وطبع أبوه في مخالفة لشخص ذي مقام في
القبيلة أو في غيرها من أحلافها ساء باسمه وكنيته ولقبه وبث
إليه يخبره بذلك وعندئذ يكون المسى باسمه ملزماً بإكسائه
وزيارته وإذا كبر عهداً حليفاً ، له ما للحليف من حقوق
وواجبات (١) .

اللباس : الملابس بسيطة وعادة ما تكون مئزراً إلى منتصف
الساق ، وصدرية ذات أكمام ، والرقوس حاسرة وإن بدلت
تنطى ، والشمس طويلة ومرسل دون قص أو شفر ، ومغروق من
الوسط ، ومحاط بإكليل من النباتات ذات الرائحة ، أو بسير من
الجلد محلى أحياناً بالفضة ، وعضون السريجان في الوسط
ويسمونها « غرارة » ، ولا بد من الجنبية (المشبكة) في
الوسط .

أما النساء فقريب لباسهن من لباس الرجال ، فقبض أو
فستان يلبس وإزار يارتزن به غالباً ما يكون من النوع العالي
ولهن تمام كبير في ذلك . ويستعمل من الطلي « الفضخال »
ويسمونه « حجل » و « المملج » ويلبسونه في العشد ، ويخرن
أنوفهن لتحلي بغرام من الفضة ويسمونه (بالزمام) ويدثرن
رقوسهن بالخضر ويسمونها « مقال » ، وغالباً ما تلبس لنا
القرى القبعات « الطفشات » ، ويستعمل بعضها وهي النوع

(١) المصدر السابق ص ٩٥ .

- ٨٦ -

فيساعد بعضهم بعضاً في بناء البيت وسقفه والحائط على
البيتان الزراعي ، وقد يجتمع أهل القرية جميعاً لهذا العمل ،
ويتم يوم واحد ، وهذا بلا أجر ولا مئة ، بل إنهم يأتون بطعامهم
معهم حتى لا يكلّفون صاحب البيت شيئاً .

وكذا عند المصائب ، فإذا ما فقد أحدهم عزيزاً ،
اجتمعوا عنده أياماً يأتونه في الصباح وكل يحصل معه أرغفة من
الخبز وطعاماً ليتكمن من إضافة الغرباء الذين يأتونه من خارج
القرية ، وبعد هذه الضيافة عند صاحب المصائب ينتقل الضيوف
انغراء إلى أهل القرية ليقيموا أيضاً بواجبهم بدورهم فكان
التعمية عامة لأهل القرية .

وأهل قرية « رجال » يسون الجلوس للزواء « فراشا »
فبعد أن ينتهوا من الدفن يذهب المشيعون إلى بيت المتوفى
ويتلاحق بهم من لم تسعف ظروفه بالمشاركة في التشيع وهناك
توزع عليهم أقراص خبز الذرة والدخن يأتي بها أولياء المتوفى
وجيرته مشفوعة بالقهوة .

ويستمر الزواء على هذه الحالة ثلاثة أيام في نهايتها يقرؤون
وهلّلون ، ويختتم الحفل بدعاء للبيت وتوزع على من حضر أعواد
الريحان الطرية (١) .

ومن المادات التي لها حرمة عندهم وعند قبائل عسير

(١) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص ٩٠ .

- ٨٦ -

www.asirnet.net

الطويل كحفية تضع فيه المرأة المحكطة والملشط والمرأة وما إلى ذلك .

المرأة : ليس على المرأة سوى شؤون البيت إلا ما ندر أما الاحتطاب وجلب الماء فهو على غيرها ، وكثيراً ما يكون من حظ الفقيرات أو الموالى يوم كثير في قرية « رجال » أما في بقية القرى تقوم المرأة ببعض هذه الواجبات خاصة وأهمن سافرات

ببنا في قرية « رجال » وأهل الثراء فيضمن الخير . والكرم معروف وصوت الهاون يدوي في الحفلات ويوبت الكبار باستمرار وأكواب القهوة تدار على الضيوف دائماً .

التهجئة : تشبه لهجة رجال ألمع لهجة عسير في قلب الكفاف شيئاً في مخاطبة الأتني ، وقلب النون راء فيقولون فلان إسر فلان .

ويستعملون كلمة أهرت بمعنى أرسلت .

ميد بمعنى أريد .

سُمَيْكَل بمعنى صغير .

سُمَيْكَلَة بمعنى صغيرة .

ويستعملون ليس للنني وقد لا يستعملون ما فيقولون لست ميد أي ما أريد .

الجُمُرَان والمرابك: البشرية

تبنى البيوتات عادة بالأحجار حيث هي المادة الأولية التي تقدمها الأرض بسخاء ، أما السقوف فتبنى بالأخشاب والتراب وذلك لوفرة الأشجار وصلاحيه أخشابها للبناء . وغالباً ما تكون النوافذ صغيرة رغم عدم وجود البرد ولكن ذلك أصبح قفاً تبع عن كثرة الحروب في المنطقة ولكن الأبنية العديدة بدأت تظهر في القرى الكبيرة ، وإن كانت قليلة والتطور ببطء ، وإن ما يميّز التطور السريع ويجعل دونه عقبة « رز » وعقبة « الصماء » حيث لا تتجاوزها إلا الدواب وبشكل بليء مع الحذر الشديد وبخاصة إذا ما انهرت الأمطار وجرت السيول . أما الآن فقد أصبحت السيارات تتجاوز عقبة رز .

والأبنية تتألف عادة من طابقين أو اثنين سوى قرية « رجال » فتتعدد الطوابق وتصل إلى خمسة أو ستة . ولما كانت المساكن ههنا الأول البيت وواجهها تدير شؤونه لإظهاره بظهر الجبال إنما يدل على ذوق المرأة صاحبة البيت . لذا نرى البيوت ملونة من الداخل يختلف الألوان « ومزينة بالفتوش ، ومزينة عليها الزفوف التي تحمل أدوات المطبخ بشكل أثيق ، حتى السقوف مزخرفة وملونة ، وأرض البيت عليها دوائر ومخططة بالطين ، ومن أشهر مراكز تجمع السكان هي :

١ - « رجال » ، وهي حاضرة القرى وتقبال ألم المختلفة،

- ٨٩ -

- ٨٨ -

www.asirnet.net

وتبنى بيوتها من الحجارة ، ولكن أديارها قليلة قلما تتجاوز الثلاثة ، ويرجع تأسيسها إلى عام ١٢٨٨ هـ يوم دخول محمد رديف باشا عسير .

وفصل بين هاتين القرأتين عقبة « رز » التي سبق أن تحدثنا عنها .

٣ - البتيلة : وهي حاضرة بني قيس بن مسعود ، وهي جنوب « رجال » وعلى مقربة منها في مرتفع جنوبي وادي المثل .

٤ - كسان : وهي مركز قبيلة بني جوة .

٥ - قرية الجوز : مركز قبيلة النبا في المرتفع القائم بين وادي « شصمة » و « فو » من روافد وادي (حلي) .

٦ - تاه : وهي مركز قبيلة بني زيد في مرتفع قرب وادي « تاه » .

٧ - غنة : حاضرة قبيلة الموص ، على مرتفع قرب وادي انمرس .

٨ - الكرى : حاضرة آل صلب ، وتقابل « ثلوث ريم » على الجهة اليسرى لوادي « كسان » .

٩ - عقرة : حاضرة قبيلة الشديدة في مرتفع غربي قرية « رجال » تقريباً .

١٠ - ثلوث ريم : حاضرة بنو شحب في المرتفع بين وادي « ريم » و « شوقب » .

- ٩١ -

- ٩٠ -

www.asirnet.net

وهم عدة بطون منها : آل سباعي - آل حجري - آل سالم - آل جبلي - آل موسى - آل عرام - آل صمبان - آل رايدان - حبيضة - الماهلة .

٢ - قبائل محابيل : وهم عدة قبائل تتبع بلدة محابيل ، وهذه البلدة حديثة العهد تعود إلى أيام حكم الوالي الشامي محمد رديف باشا عام ١٢٨٨ هـ الذي أقام عدة قلاع لا تزال ماثلة إلى الآن ، وهي تقع على ضفاف وادي « تيه » الذي يرفده وادي (حلي) ومن هذه القبائل :

آل موسى : وتقع منازلهم على وادي « تيه » ، وحاضرتهم مدينة محابيل ، ويقسم قسم منهم على الساحل الجنوبي من (حلي) ابن يعقوب ، ويتنقل عدد أفراد هذه القبيلة بخسين ألفاً ، ويقب شيخها عادة باسم « امخاله » أي الخالد وأغلب أفسراده من المدنايين .

آل مشول : وتقع منازلهم على وادي « مروة » ومآتية من قسم جبال الألبس والأحمر ، وينحدر نحو تهامة حتى يسب في وادي حلي بن يعقوب .

آل الدريوب : ويتبعون محابيل .

الريش : ويتبعون محابيل أيضاً وتبعهم القبيلتان السابقتان .

آل مسير : ويقدر عددهم بمشرة آلاف .

- ٩٢ -

- ٩٢ -

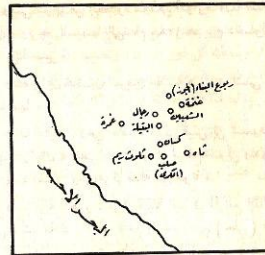
www.asirnet.net

وتقع في صدر وادي « كسان » وتبنى بيوتها على ضفتيه ويرتفع بعضها فوق بعض على السفوح ، وتصل في ارتفاعها إلى ستة أذوار ويستاك كل دور إنسان ، ولطبيعة الارتفاع على السفوح كثيراً ما يكون السطح مدخلاً لبيت آخر . ونوافذها ضيقة ، ولا يختلف فن بنائها عما ذكرناه آفاً في قبائل ألم كلها .

وهي قرية حديثة لا يزيد عمرها على الألف عام ويقال : إن أول من بني فيها رجل من اليمن من مدينة « بيت الفقيه » ويسمى موسى بن خنم ويتنسب إليه آل الحظفي ، كما أن من أحفاده رجلاً يسمى الشيخ بكري ويعتبره آل الحظفي جددهم الأعلى لذا تسمى أحياناً بقرية الشيخ بكري . وهذه الأسرة أكثر الأسر شهرة ، وإبنائها أهل علم ، ولهم موهبة بالشعر وللواحد منهم حق لقب « الفقيه » ولو كان جاهلاً .

يبلغ عدد سكان القرية اليوم ما يناهز ١٥٠٠ نسمة ، وهي مركز بني ظالم .

٢ - الشعين : وتقوم عند ملتقى وادي « الموص » بوادي «حلي» وعلى السفوح الجبلية المشرفة عليها ، ويطلق هذا الاسم في الأصل على شعين صغيرين من مآتي وادي حلي المشهور يسمى أولهما (الأحد) ويعرف الثاني باسم (صوله) . ولا يزيد سكانها على ١٥٠٠ نسمة ، ويقوم السوق فيها يوم الأحد ، وهي مركز بني قطة وفيها الدوائر الحكومية التي تتصرف على قبائل ألم وهذا ما جعلها تنمو وتوسع .

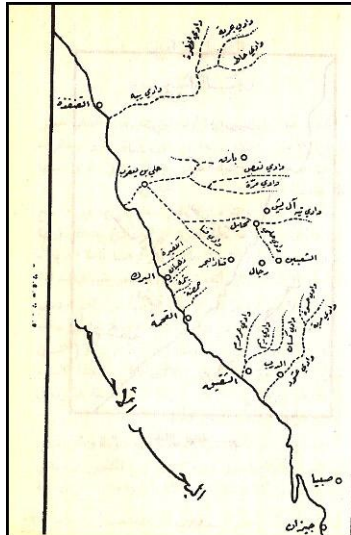


المراكز البشرية في بلاد رجال ألم

ومن القبائل الموجودة في تهامة أيضاً .

١ - قبائل بارق : وتقع منازلها حول بارق التي هي حاضرتهم ، وتنحدر هذه القبائل من أصل قحطاني من الأزد : عدة بيوت منها تنتمي إلى الأشراف ويطلق عليهم (السادة) ويقدر أفراد هذه القبائل بخسين ألفاً .

ومن أهم أوديتهم وادي بارق ومآتية من جبال (إسرب) و (ريدان) ، وينحدر إلى الغرب حتى يسب في وادي (حلي بن يعقوب) ، وترفده عدة أودية منها : وادي (شرى) و « خبث ال حجري » .



بنو تيمية : وتقع منازلهم جنوبي محابيل وحاضرتها القاعد .
قبائل الشجعة : ويقيم أفرادها على وادي عسلان ، وهم
من البدو . ويتبع قسم منهم الفحمة ، ويقدر عددهم بأربعين ألفاً .
٣ - قبائل قنا والبحر : ومسكنهم على ضفاف وادي قنا ،
وهم خليط من العرب ، ويقدر عددهم بخمسين ألفاً .
٤ - بنو شعبة : ويقعون في جنوبي تهامة عسير وحاضرتهم
الدرب وعمر بنو شعبة . هذا بالإضافة إلى قبائل ثمانية
تعيش بين هذه القبائل بعضها لا يزال يعيش بسلام ، وبعضها
الآخر مستقراً .

- ٩٤ -

www.asirnet.net

الفصل الرابع رجال الحجر

الحجر هو ابن الهون بن الأزد ويقصد رجال الحجر خنس
قبائل هي: بالأحمر ، وبالأحمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو ، وبالقرن،
وتقيم في السراة شمالي سراة عسير كما أن قبائل أخرى تتبعها
وتقطن تهامة .

١ - بالأحمر : وتقع منازلها على ضفاف أودية جبل وصيح
ويبحان والمأوين ، وتوجه نحو الشرق لترقد وادي يشة، ويوطونها
كثيرة تزيد على ستة وثلاثين بطناً ، ومركزها بلدة المأوين ،
ويقدر عدد أفرادها بثلاثين ألف نسمة ، ومعظمهم يقيم في السراة .

٢ - بالأحمر : وهم إلى الشمال من الأحمر وأهم أوديتهم
وادي « بما » ويأتي من أعلى السراة وتأتي الروافد بؤسيرة مياهه
نحو الشرق لترقد وادي يشة ، وحاضرتهم آل خريم أو (أثنين
بالأحمر) لأن السوق يقام فيها يوم الاثنين لهذا عرفت بهذا الاسم .
وتبدأ بلادهم من وادي « عيالة » ، وثلاث هذه القبيلة يقيمون في
تهامة ، ويقدر عدد القبيلة بأربعين ألفاً .

٣ - بنو شهر : وأشهر أوديتهم وادي قنومة ويأتي من
أعلى السراة باتجاه الشرق ليرقد وادي ترح المشهور والذي
يقال : إن الأسود كانت تكثر فيه ، هذا ما أورده الهمداني في كتابه

- ٩٧ - (وزارة المعارف - الكويت الدورية)



قبائل تهامة عسير

- ٩٦ -

www.asirnet.net

د - بلحارث : ويطلق على هذه القبيلة اسم « الشغين » .
وبعض بطونهم يعيشون في تهامة في وادي « بقرة » .
هـ - ثريان : ويقيم أفراد هذه القبيلة في الجهات الغربية من
بلاد بني شهر . ويقدر عدد بني شهر بمائة ألف نسمة .

أما تنومة فقد أصبحت مركز الإمارة عامة ، وهي مدينة
تاريخية وقرية من بلدة الناص وإلى الجنوب منها بحيث يمكن
أن ترى منها .

٤ - بنو عمرو ويقدر عددهم بـ ١٢ ألفاً . وتقع منازلهم
شمالي سراة الحجر ، وتختلط منازلهم مع مساكن أبناء عهم بني
شهر ، وتنحدر أوديتهم نحو « وادي كرج » ثم تؤول في النهاية
إلى وادي يشة .

وهم جزءان كبيران بنو تميم وبنو كعب .

والكثر بيوت هذه المناطق مبنية بالحجارة ، وترتفع إلى عدة
طبقات تصل إلى أربعة أدوار باستثناء بيوت الأحمر فلها مبنية
الجدران بالحجارة في قسما الأسفل أما القسم الأعلى فمقام من
الطين . وتوافرها صغيرة ، وليس في الجدران من الداخل تلك
الزخارف التي وجدها في بلاد عسير ورجال الملح وإنما مطلية
بالطين فقط .

أما المادرات فهي قرية من عادات جبال الحجاز في غامد
وزهران وإن كان منها ما يشبه عادات قبائل عسير أو نستطيع

- ٩٨ -

صفة الجزيرة العربية « وأهل المنطقة يقلبون الجيم ياء لهذا
يلفظونه « تري » ، وأخيراً تؤول مياه وادي ترح إلى وادي يشة .
أما وادي تنومة فتزده عدة أودية منها « سدوان » و
« نحيان » و « منا » وغيرها من الروافد .

وينقسم بنو شهر إلى قسمين رئيسيين هما « سلامان »
و « بنو اللثة » وكل من هذين القسمين يتألف من عدة بطون .
وحاضرة هذه القبيلة « الناص » واسمها القرية ، وسكنت
بالناصر لوجود شجر الناص فيها ، وهي بلدة يسكنها آل المصلي
أمراء بني شهر ، ومنذ أيام الحاكم الثماني محمد رديف باشا عام
١٢٨٨ هـ أصبحت مركز بني شهر إذ بني فيها مركز للحكومة . وفي
الجنوب الغربي من بلدة الناص توجد أعلى مرتفعات البلاد حيث
يرتفع جبال يعرفان باسم « تللتحصن » ، ويوجد فوقهما أغلب
الأحيان قطع من السحاب الأبيض . كما ترتفع في غربها في تهامة
ثلاثة جبال منفصلة عن السراة ، وتعتبر من جبال تهامة ولا يقل
ارتفاعها كثيراً عن جبال السراة التي تقابلها ، وهذه الجبال تعرف
باسم « ثريان » و « تهو » و « ريسان » . والارتفاع يصل
إلى ألفي متر تقريباً وهذا الارتفاع نجد الناص تنسب مدينة أجا .
ومن أشهر قبائل بني شهر :

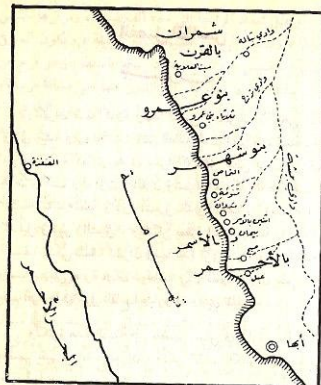
أ - شهر ثرايين ، شهر الشام ، بنو عيس .

ب - بنو التميم .

ج - العوامر .

- ٩٨ -

www.asirnet.net



- 1.1 -

أقول : إن رجال الحجر لهم عادات تشبه عادات سكان جبال
الحجاز وأخرى تشبه قبائل عسير أو هي مرحلة انتقالية بين
المنطقتين . فالرجال يسون عادة الثياب البيضاء ، أما النساء
فيلبسن البوادة أو الملبوذة بهذا التشبه إلى الرقعات في عامة
البلدورة هي الشائعة ، وتلبس النساء القبعات " القشمة " و
عادة سفارت اللبوة واليدلين بسبب مساعده الرجل في أعماله أو
لكثرة الإحمال الملقاة على عاتقهن ، وإن كانت هذه الأعياد قد بدأت
تدريجاً ، نعم لقد تمت إزالة التزول إلى السوق لتأخذ حاجات بيتها إلا أدار
إباحة صحت هذه من وظائف الرجل .

٥ - بالقرن : وتقع منازلهم في شمال بلاد بني عمرو ، وحاضرهم العلاية وتعرف عادة باسم « سبت العلاية » حيث يقام السوق فيها يوم السبت .

- 100 -

الفصل الخامس

شهران قبيلة كبيرة ولهذا تسمى المرفضة ، وهي تسكن وادي بيشة وتروعه عدا بعض أماليه حيث تقسم فيها قبيلة رقيدة من قحطان . كما توجد في مجراه الأسفل بعض فروع من قبائل ختمم والبطارح والبارقرن وشهران . وكذلك فإن هذه القبيلة تملك منطقة وادي السبيري التي يتألف من اجتماع أودية السليل وخيبر والقيق . ويسكن بعض شهران قسما من منطقة الشيف تسكن شيف شهران وفيها عدة قرى منها القراعومسقي، وتنبه ، وهي جارية عذراء كرام وحل السرحان . والى القارعة ، وآل ينعق وكذلك يضم أفرادها في السق القاع عذراء وادى ثلثيت .

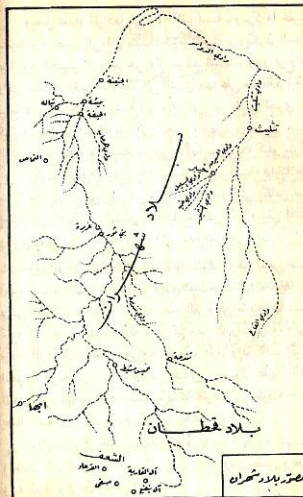
والقبيلة من أصل قحطاني عدا شعف إراشة فإنهم ينحدرون
من عنز أي من القبائل العدنانية .

- 1.2 -

الفصل السادس

قبيلة قحطان في عسير مجموعة قبائل تعود إلى خولان
وهمدان تسكن ما بين ظهران الجنوب وقبيلة شهران ومن أهم
أوديتها : ظهران - ثلث - الجوف - سبخان - بشر -
بعض - الراحة .

١ - واده : وترجع إلى همدان وتقيم على شفاف وادي
مهران شمال بني صحار وغرب قبائل جوبة ويدر وهي مجموعة
بلتون منها : آل حيان وشيايقهم مسفر بن سعيد ابن عريز
ومعيش بن علي ابن كميان ، آل سيار ، آل زاهر ، آل رشيد -
المخاضي ، آل ثابت ، آل جبير - آل موسى - شحامي -
القضاء - آل علي بن محمد ، ولكل قبيلة شيخها الخاص
وشيوخ ابن دليم وبقدر عدد أفرادها بستين ألفاً .



www.asirnet.net

وتعود في أصولها إلى خولان .	ومنهم ٩١ - الحاف وشيخهم عبد العزيز بن محمد بن عامر .
٩٢ - بنو بشر وشريف : وتخطط منازل هاتين القبيلتين ،	٩٢ - دعي وولديس وشيخهم حسين بن حشكان بن سالم بن غشام .
أما بنو بشر من جنب بن سعد فشيخهم سعد بن عبد الهادي بن	٩٣ - جارة وخطاب وشيخهم سعيد بن علي بن حسين بن
تقطان ، وأما شريف وما بينهما فشيخها ابن دليم وهو سعيد بن	هيف ، وهم من خولان .
محمد بن دليم . ويقدر عدد أفراد هاتين القبيلتين بستين ألفاً .	أما ربيعة فهي عدائية وتعود إلى عنز بن وائل وتتدر
٩٤ - عبيدة وربيعة : أما عبيدة فهي من خولان أي قحطانية ،	بحسين ألفاً .
ويقدر عدد أبنائها بخمسين ألفاً ، وأميرها ابن شقوكة وهي عدة	وهناك قبائل أخرى صغيرة هي : قشقو آل الشوايط ويتدر
بطون منها :	عدد القبائل جميعها بخمسة وعشرين ألفاً .
٩٥ - آل الصقر : ومنهم آل عابس وآل بسام وآل الجعدة	ويقال لبدو تهامة قحطان جنب بن سعد .
وآل حليل والجرايع ، وشيخهم هيف بن سعد بن سليم .	
٩٦ - بنو طلق : وهم آل زهير والمناذرة وشيخهم محمد بن	
جلاله المندي .	
٩٧ - آل ممر : وشيخهم سعد بن حسين بن فردان .	
٩٨ - بنو شداد : ومنهم آل القهر وآل الجرو وآل مهدي	
وآل زيدان والمراجان وشيخهم ذيب بن عشق بن زيد بن شفلوت	
الصيني ومقره في الصبيخة .	
٩٩ - آل ممر في المنة وشيخهم عايش بن فردان بن مشفلت .	
١٠٠ - آل سليمان العرقان وشيخهم بن فهد بن جافل ويكنى	
بوادي العرين من طريب وهو الحد بن سحان وعبيدة .	
١٠١ - المساردة : وشيخهم حجل بن ثري وغيرهم من بطون	
عبيدة التي انتشرت في نجد وحائل .	

- ١٠٧ -

- ١٠٦ -

www.asirnet.net

١١٠.٠٠٠	قبائل عسير :	عكلم	٣٥.٠٠٠
٣٥.٠٠٠	بنو مغيرة	٣٥.٠٠٠	
٣٥.٠٠٠	ربيعة وربيعة	٣٥.٠٠٠	
٣٥.٠٠٠	بنو مالك	٣٥.٠٠٠	
٥.٠٠٠	قبائل تابعة	٥.٠٠٠	
١١٥.٠٠٠	رجال المسح :	بنو قيس	١٥.٠٠٠
١٥.٠٠٠	بنو جوة	١٥.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	بنو ظالم	١٥.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	بنو قطبة	١٥.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	بنو زيد	١٥.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	آل صلب	١٥.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	بنو شحب	١٥.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	شديدة	١٥.٠٠٠	
٨.٠٠٠	بنو العيص	٨.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	النبأ	١٥.٠٠٠	
٢٤٠.٠٠٠	قبائل تهامة :		
٥.٠٠٠	بارق	٥.٠٠٠	

- ١٠٩ -

- ١٠٨ -

www.asirnet.net

١٥.٠٠٠	مهايل	١٥.٠٠٠	
٣٥.٠٠٠	بنو شعبة	٣٥.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	قبائل أخرى	١٥.٠٠٠	
٢٤٠.٠٠٠	رجال الحجر :		
٣٥.٠٠٠	بالأحمر	٣٥.٠٠٠	
٤.٠٠٠	بالأسمر	٤.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	بنو شهر	١٥.٠٠٠	
٧.٠٠٠	بنو عمرو	٧.٠٠٠	
٣٥.٠.٠٠٠	قبائل شهران :		
٣٦.٠.٠٠٠	قحطان :		
٦.٠٠٠	وادة	٦.٠٠٠	
٥.٠٠٠	سحان	٥.٠٠٠	
٦.٠٠٠	بشر وشريف	٦.٠٠٠	
٥.٠٠٠	عبيدة	٥.٠٠٠	
٥.٠٠٠	رفيدة	٥.٠٠٠	
٥.٠٠٠	الجارة وخطاب	٥.٠٠٠	
٢٥.٠٠٠	قبائل أخرى	٢٥.٠٠٠	
١٥.٠٠٠	بنو تهامة	١٥.٠٠٠	
٣٣١.٥٠٠			

* * *

- ١١١ -

- ١١٠ -

www.asirnet.net

الفصل الاول

بلد عسيري في العصر الإسلامي

كان لقبائل عسيري في الجاهلية مركز كبير بين القبائل العربية، وقوة بخشي بأسها وبخاصة في وقت كانت قيمة القبائل بقوتها ومركزها يحدد أفرادها، وقد أضافت مناعة بلادها زيادة إلى جانبها المرهوب، فقد وضعت الأزد أتاوة على غير قريش المنطلقة نحو اليمن في رحلتها الموسمية في فصل الشتاء.

وعندما شاع نور الإسلام في الجزيرة العربية وأصبحت المدينة المنورة مركز انطلاقه ومنطلق إشعاعه على حين بقيت مكة المكرمة تقف في وجهه وتحول دون اتساعه وكان سكانها من قريش قادة الصادقين عن دين الله، وأبطال الواقفين أمامه، ولهم ما لهم من مركز بين قبائل العرب لما لهم من مهابة ولما لمدينتهم من قداسة وكذا كانت الطائف وسكانها من تقيف، ولما كانت المدينتان مكة والطائف تقمان بين المدينة وعسيري، فقد حالتا دون وصول

- ١١٢ - (ردارة المعارف - النجيب العربي)

الباب الثاني

التاريخ

- ١١٢ -

www.asirnet.net

الإسلام إلى هذه البقعة وهذا ما جعل سبب تأخير وصول الإنشراق الساسانية إلى هذه المنطقة من أرض العرب.

ولما فتحت مكة المكرمة للمسلمين، ودانت لهم الطائف، وخضع لهم ما حولها من قبائل وأعراب، وزالت الأسمان ودالت دولة الشرك، وإبتدأت القبائل تدخل في دين الله أقواجاً ورسلاً شعاع الحق إلى عسيري فوجد الصرد بن عبدالله الأزدي رضي الله عنه في السنة العاشرة للهجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس وفد من قومه.

أسلم الصرد بن عبدالله رضي الله عنه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بهم من كان يليه من أهل الشرك، فخرج رضي الله عنه حتى أحاط بمدينة جرش قاعدة منطقته التي كانت تعرف باسم مخلاف جرش، وحاصرها حصاراً شديداً استمر ما يقرب من شهر عجز فيه عن فتحها، فانتشر عنهم وكان يريد إصباحهم بأنه منزه فخرجوا في طلبه حتى إذا كانوا بسفح جبل شكر، عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً، فاهزموا أمامه واعتصم فلولهم بالمدينة جرش، وأخيراً صالحوه على الفتي، وكان منهم بعد عصر يوم الوقعة وفد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما رجلان فقط.

- ١١٤ -

www.asirnet.net

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في قدوم الأزد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان الداراني، قال: حدثني علقمة بن مرثد بن سويد الأزدي، قال: حدثني أبي عن جدي عن سويد بن الحارث، قال: وفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجب ما رأى من ستنا وزينا فقال: ما أتم؟ قلنا: مؤمنون، فنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا بها رسلك أن تؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تظفنا بها في الجاهلية فنحن عليها حتى نكره منها شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الخمسة التي أمرتكم بها رسل أن يؤمنوا بها؟» قلنا: أمرتنا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله بالبعث بعد الموت، قال: «وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها؟» قلنا: أمرتنا أن

(١) من الخطبة فقط.

- ١١٦ -

www.asirnet.net

نقول لا إله إلا الله، ونقسم الصلاة، ونظري الزكاة، ونصوم رمضان، ونهجع البيت من استطاع إليه سبيلاً. فقال: «وما الخمسة التي تظفتم بها في الجاهلية؟» قالوا: الشكر عند الرضاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق في موطن اللقاء، وترك الشاة بالاعداء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حكاء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء» ثم قال: «وأنا أزيدكم خمساً فبتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون، فلا تصبوا ما لا تاكلون، ولا تبثوا ما لا تسكنون ولا تاتصروا في شيء أتم عنه غداً تاكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلصون». فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها (١).

وبقي الصرد بن عبدالله والياً على جرش حتى انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرقيق الأعلى، وجرش مدينة بالدة ولا زالت أملاها قائمة، وتقع على قاع منبسطة بالقرب من سفح جبل شكر من جهة الغربية، وهذا الذي وقعت عنده الوقعة بين من آمن من أهلها ومن كثر، ويقع في بلاد ربيعة الآن شمالي بلدة (أحد ربيعة) ويبعد عن إياها مسافة ١٠ كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي منها وقد جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي في مادة جرش:

(١) البداية والنهاية ١٤/٥. طبعة مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض.

- ١١٧ -

جرش : بالضم ثم القسح ، وشين معجمة ، من مخاليف
البن من جهة مكة ، وهي في الأقاليم الأولى ، طولها خمس وستون
درجة ، وعرضها سبع عشرة درجة ، وقيل : إن جرش مدينة عظيمة
بالبن وولاية واسعة ، وذكر بعض أهل السير أن تبما (أبعد بن
كليب) خرج من البن غازياً حتى إذا كان بجرش ، وبهـ إذ ذاك
خربة ، وبعد حالة حوالها ، فظف بها جماً من كان صحبه رأى
فيهم ضعفاً ، وقال : اجرشوا هاهنا أي اليشا فسيت جرش
بذلك ، ولم أجد في اللغويين من قال أن الجرش المقام ، ولكنهم
قالوا إن الجرش الصوت ، ومنه الملح الجرش لأنه حك بعضه
بعض فصوت حتى سحى لأنه لا يكون ناعماً ، وقال أبو المنذر
هشام : جرش أرض سكنها بنو منبه بن أسلم فقلت على اسمهم
وهو جرش واسمه منبه بن أسلم بن زيد بن الفوث
ثم قال : وقرأت بخط جديج النحوي في كتاب أنساب
البلدان لابن الكلبي : أخبرنا أحمد بن سهل العلواني عن أبي
أحمد محمد بن موسى بن حماد البريدي عن أبي السري عن أبي
المنذر قال : جرش قبائل من أئمة الناس تجرشوا ، وكان الذي
جرشهم رجل من حبر يقال له زيد بن أسلم ، خرج بنور له عليه صل
شعير في يوم شديد الحر فحصد الثور ، فظله فاشتد تبه ، فحلف
لئن ظفر به ليذبحته ثم ليجرش الشعير وليدعون على لحمه ،
فأدركه بذات القصص عند قلعة جرش ، وكل من أجابه وأكل

- ١١٨ -

www.asirnet.net

حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء - حمومة وحمة
وكولة - ثم يلتقي بهذا السيل أودية ديار حتى تصب في بيشة
بمطّان ، فجرش رأس وادي بيشة وصالي قصبة جرش حكمة
من عز ثم يواطي حزمة من شامها عسير قبائل من عز وعسير
بناية تنزوت ، ودخلت في عز فأوطان عسير إلى رأس تبه وهي
عقبة من أشرف تهامة (١) .

وتولى أمر جرش في أيام الصديق رضي الله عنه عبدالله بن ثور
وقد طلب منه الصديق أن يمدد بالمؤمنين من منطقتهم ليقاوم
المرتدين ، وقد فعل ، واستمر في إمرته أيام عمر وعثمان رضي الله
عنه وبعد ذلك كانت عسير تتبع مكة المكرمة .

شاركت قبائل عسير مع الجيوش الإسلامية بالفتوحات
والانطلاق خارج الجزيرة العربية ، فلما توقفت الفتوحات عاش
سكان المنطقة في مرتفعاتهم حياة هادئة مطمئة يخضعون للدولة
ويدعون بالولاء للوالي الذي يثبون إليه في مكة المكرمة .

ولما قامت الدولة العباسية وبدأت تلاحق بني أمية وقائهم
توزعوا في الأمصار واختفوا في الأقاليم وبخاصة الغربية منها
والجنوبية ، وقد استطاع أحدهم وهو علي بن محمد بن عبد
الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أن يصل إلى عسير

(١) صفوة الجزيرة العربية تحقيق محمد بن علي الكواح
الحوالي - أشرف حمد الجاسر - منشورات دار اليمامة بالرياض .

- ١٢٠ -

www.asirnet.net

ولا بد لمن يريد أن يتصدر المجالس ويجمع حوله الناس من أن
يكون كريماً ، فالكرم عنوان الامكانات على القيادة ودليل
القدرة على توجيه الناس حسب الوجهة التي يريدونها وإعلاء رأيها
وإن قل مؤيدوه في بداية الأمر وضلّ أعضاؤه .

وإذا كان للشجاعة دور كبير إلا أنها لا تعتمد في رجل قطع
أكباد الإبل واجتاز الفياض في سبيل رأيها وعزة نفسه دار لم يكن
شجاعاً لكان في الأصل من سكت على ضيق فتال مد يده المحتوم
كما ناله الكثير من أسرته أو عاش حياة الدل بين الجموع التي
يعونها في كل زمان فلا يطالهم أذى ولا ينالهم خير ، لا يرتفع لهم
اسم ولا يعلم لهم شأن .

وإن في الأسرة الواحدة سواء أكانت حاكمية أم محكومة
أفراداً كثيرين ، ولكن ليسوا جميعهم ممن يرتقي إلى مصاف القادة
وعداد العظماء وإنما الذي يصل إلى ذلك المركز من يتجشم
المخاطر ويتحمل المصائب ويضحي في سبيل ذلك بنفسه وولده
وما يملك .

ولعل في هذه الأسرة التي تتكلم عنها وهي الأسرة الأموية
أكثر من نموذج واحد لهذه التضحية وهذا البذل وإن كان
التاريخ لم يحفظ لنا إلا صورة واحدة وهي صورة عبد الرحمن
الداخل الذي ذهب إلى الأندلس وبقي عدة سنوات في طريقه
يختفي إذا أبلج الصبح ويسير إذا جن الليل تنصير
أمة مرأى أخيه الصغير تقتله جنود بني العباس وهو يحاول اجتياز

- ١٢٢ -

www.asirnet.net

معه يومئذ كان جرشياً ، وينسب إليها الأدم والنوق يقال : آدم
جرشي وناقعة جرشية ، قال بشر بن أبي حازم :

تحدّثهم ماء البر عن جرشية

على جرشية ، تملو الديار غروبها

يقول : دموعي تحدّثكم ماء البر عن دلو تسقى بها
ناقعة جرشية ، لأن أهل جرش يسقون على الإبل ، وفتحت
جرش في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، في السنة العاشرة للهجرة
صلحاً على النبي وأن يتقاسموا العشر ونصف العشر ، وقد نسب
المحدثون إليها بعض أهل الرواية ، منهم الوليد بن عبد الرحمن
الجرشي مولى لآل أبي سفيان الأضراري ، يروي عن جبير بن
نغير وغيره ، ويريد بن الأسود الجرشى من التميمين ، أدرك
المغيرة بن شعبة وجبالة من الصحابة ، كان زاهداً عابداً سكن
الشام ، استسقى به الفضالك بن قيس وقتل معه ببرج راهط .

أما المهدي المتوفى عام ٣٣٤هـ فيقول : جرش كورة نجد
البلبا وهي من ديار عز وسكنها وترأس فيها العواصج من
أشراف حمير وهو من ولد يريم ذي مقر القيل ولهم مؤدود عود
وجاية البناية في أرض نجد إليهم وهم يقومون معهم بحرب عز
وفي شق قرية جرش فرق من الزواوية يدعون الجزارين من موالي
قريش والمنازين نزار من الغزاة وهم رابطة لعز على العواصج
ويملئ إليهم عز بصرخا ونجبتها . وجرش في قاع ولها أشرف
غربية بعيدة منها تحدّث مياهها في مسيل ير في شرقها بينها وبين

- ١١٩ -

وأن يؤسس أسرة تسلم زعامة عسير وإمارة ، ولم يبق على
ذلك سوى عدة سنوات ، واستمرت الزعامة فيها حتى العصر
الصدى غير فترات قصيرة كان يقع خلالها خلاف بين أبناء
العمومة وفروع الأسرة على من يتسلم الزعامة وفي أيها تكثر
الإمارة ؟ وهو ما يقع دائماً في الأمر على مدار التاريخ ، ونعدها
بضعف أمرها وتنشعب إليه غيرة ثم لا يلبث أن يعود إليها . كما
يسكن أن يصفق شأنها عندما يقوم عبيدها بحركة على الدولة أو
يحارب أميراً آخر مجاوراً له أو منافساً وتكون النتيجة هزيمة
أهل عسير أو مقتل قادتهم ، وكذلك لا يلبث مد مددة أن يرجع
الأمر كما كان وأن يرجع الأولاد إلى رئاسة البلاد .

إن الأمير الذي يولد في حضان المر وينشأ في بيت كريم
المنبت لا يستطيع أن يكون إلا كذلك وإن حط به الأيام أو
أذله الظروف إذ لا تلبث أن تتحرك أرويته وتدفقه سمته
وأماجد سلفه أن يعود إلى مكانه الطبيعي فيأتيه الناس مقدرين
له حسب ووضعه الذي هو فيه فإن النفس البشرية لترحم عزيز
قوم ذل وتشتغل على إنسان حط به القدر ، هذه الرحمة وهذه
التشفقة تجعلان له من وضعه الضعيف مركزاً محترماً وموضعاً لائقاً .
وإذا كان هذا العزيز قري الصيغة طلق اللسان استطاع أن يجعل
من وضعه الذي هو فيه قوة ومن مطلبه حق ومن رغبته عدلاً ،
وكثيراً ما كان ينشأ أولاد الأمراء على هذا ويروون على ذلك
وعلى الكرم ليكونوا أهلاً لمنصبهم ، إذ لا يرتفع إنسان بخيل،

- ١٢١ -

نهر الفرات معه ، قتل وعينه تنظر وتدمى وقلبه يشغل ولكن لا بد
له من قوة القلب ورباطة الجأش ومثانة الأعصاب حتى يستطيع
أن ينجو بنفسه يحلّ الرجال إذا وجد مكاناً آمناً ويشدّها
إذا خاف بطش متعلق غادر ، وأخيراً استطاع أن يصل إلى مأمنه
وتسكن بعدها أن يؤسس دولة لها في التاريخ من المركز ما لها ...

وإذا كان عبد الرحمن قد طغى على غيره من أبناء العمومة
الفارين من وجه الباسيين فذلك لقوة الدولة التي أقامها في تلك
المنطقة وقد ساعده حسن موقعها ومركزها من أعدائها
وصلاح منطقتها واتساع أرضها وكثرة خيراتها وتعداد جندها
أما الأمكة الأخرى التي اتجه إليها بقية الأمراء فلم تكن شروطها
مواتية ولا جغرافيتها مناسبة ولا ظروفها ملائمة كما لم يكن
غناها كافياً لإقامة دولة وهذا شأن بلاد عسير ذات الرقعة
المحدودة والجنود الضليل والعدد القليل والمرضى الضعيف
يجعل من كل بقعة منها أرضاً منفصلة فيها أسرة مستقلة وفيها
زعامة قائمة بحد ذاتها ثم قربها من البن ذات المالعة والثورات
الدائمة بحيث تمر الجيوش باستمرار من عسير أو على مقربة
منها بحيث يمكن استخدامها للقضاء على كل حركة ، وإضافة إلى
هذا فبعد الرحمن على نسب قريب من مكان بني أمية الأواخر ،
فهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن عبد شمس
لم تضي على خلافة أكثر من سبع سنوات ، فالأظفار تنجعه نحوه

- ١٢٣ -

وأفراد أسرته معروفون جميعاً لا تغني عنهم خافية ولا يغيب عن أعتابهم فرد، ويمكن أن يكون الأمر إليه، لذا يجب القضاء عليه أما علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد فقد ذهب الحكم من فرع أسرته منذ أكثر من ٦٨ سنة لذا فقد نسي الناس هذا الفرع وطوى التاريخ البيت السنياني وإن كان هو المؤسس للدولة الأموية، حتى انصهر أمراؤه بين أفراد الشعب وضاعوا بين عناصر المجتمع وبخاصة لضعف الذين ورثوا الأمر بعد يزيد والنفات أنبشائه إلى أصعاليهم وبمدهم عن أمور الحكم التي استغل بها أبناء عمومته من الفرع المرواني. وربما هذا ما جعل المؤرخين ومنهم ابن كثير يقولون بأن نسل يزيد قد انتهى إذ لم يبق أبنائه.

وصل علي بن محمد إلى عسير وتحالف مع قبائلها، واستطاع بدمه وجيزة أن يكون صاحب الكلمة المسبوبة وصاحب الفتوة، وقد يكون قد أخفى نفسه في بداية الأمر حتى لا يظلمه الوالي ويدفعه إلى بغداد لينال هناك جزاء العداوة وعقاب القرار وهذا ما يضيف سبباً ثانياً إلى الاعتقاد بانقطاع نسل يزيد ابن معاوية. فدمت علياً نفسه وقد رأى من قوته ما رأى أن يثور على الدولة العباسية وقد صار الأمر فيها إلى المهدي ولكن دون أن يفصح عن شخصه ومن غير أن يعلن عن هويته حتى لا يزداد الاهتمام بأمره مادام من سلالة الأسرة التي زال منها الحكم ولا يزال لها من الأضرار العديد، وبخاصة وأن وضع بني العباس لم

- ١٢٤ -

www.asirnet.net

فروع قبيلة ربيعة أيضاً وحلفاء شهران، حيث كانت ربيعة قسمين أحدهما حليف بني مفيد والآخر حليف شهران الذين يتبعون إمارة علي وهم بنو الأضرع بينما يتبع بنو ماجور إمارة صقر وحلفاء لبني مفيد ففندما أراد علي أن يتوسع في إمارته لتشمل بني ماجور قتل. واستمرت الإمارة في صقر بن حسان وأولاده من بعده، بينما اتزى أبناء علي بن إبراهيم في منطقة الشعف وهم الذين يعرفون اليوم باسم آل يزيد الشعف.

ولما ضمت الدولة العباسية في أواخر عهدنا، وبدأت الدويلات تستقل في الشرق، وتنفصل في المغرب، وتتمثل في الجنوب، وكانت بعض هذه الإمارات على مقربة من عسير في الجنوب، في بلاد اليمن، لم يجد سكان عسير فائدة في هذا الاستقلال رغم صلاح أرضهم لئلا هذا ضدها وصمود أرضها ومناعة حصونها وقوة شتيكة أهلها كل ذلك يحولها لتكون مركزاً للتمرد ومجالاً للاستقلال، وحصناً لكل عصيان، ولكن هذا ليس فيه سوى زيادة الفرقة، وكثرة الاختلاف، وتجربة البلاد لهذا كله أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز جبراهم في الشمال وبخاصة. وأهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة، كما توجد في الحجاز الأماكن المقدسة مهوى أقدنهم وإليها تشد رحالهم.

لقد شملت سلطة الطولونيين عسير عام ٢٥٤هـ - ٢٩٣هـ (٨٦٨ - ٩٠٥ م) ثم عاد الأمر للعباسيين قليلاً ٢٩٣هـ - ٣٣٠هـ (٩٠٥ - ٩٤١ م) ثم صارت تتبع صاحب النفوذ الأقوى والذي

- ١٢٦ -

www.asirnet.net

الفصل الثاني أنشكام المضعف

في هذا الوقت تغيرت القوى الدولية وظهرت الصليبية في الشرق فكانت نتيجة ذلك أن تغيرت الأوضاع في هذه المنطقة ولا بد لنا من أن نتحدث ببعض الشيء عما حدث.

استطاعت أوروبا كافة أن تدعم الأسبان والبرتغاليين في حروبهم ضد المسلمين في الأندلس حتى تم لهم النصر إذ كان المسلمون آنذاك متفرقين في كل جزء دولة وفي كل إقليم سلطان يتناحرون في أغلب الأحيان فاستطاع الأسبان والبرتغاليون أن يطردهم المسلمين من الأندلس، وأن يدخلوا غرناطة آخر معقل للمسلمين، وذلك عام ٨٩٨هـ (١٤٩٣ م)، وقاموا يذهبون المسلمين الذين بقوا في الأندلس ويركبون بعثهم جرائم تقتسم لها الأبدان - على الرغم من العهد الذي قطعوه لحاكم غرناطة الذي سلم لهم المدينة بموجب - حتى لم يبق في شبه جزيرة أيبيرية مسلم واحد، وبمثل أعمالهم أبسو البقاء الرندي في قصيدته المشهورة التي يري فيها الأندلس والتي مطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يرى بطيب العيش انسان

- ١٢٨ -

www.asirnet.net

يرق للكثيرين الذين كانوا يؤيدونهم سواء من العرب عامة أم من الطالبيين خاصة، أم من الذين كان يسوؤهم وضع بني أمية في أواخر عهدهم فكانوا يرجون الإصلاح بشيخ الأوضاع فلما تم ساءتهم عواقبه فقبلوا ظهر المجن إلا أن السيف قد أفرس الألسن فكفت عن الكلام ومحا أسفار البلاغة فاختفت الكتب التي تريد أن تظهر بعض الحقيقة، إلا أن الجيش الذي أرسله المهدي إلى اليمن والذي رغب علي بن محمد أن يشاركه وأن يوقفه في كين نصيبه له، ولكن قوته لم تكن قد اكتسبت بعد وليست بحالة تزهله للوقوف أمام هذا الجيش الكبير الذي كان بقيادة عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الغامدي فمات قتيلًا عام ١٦٩هـ ورغم هذه النكبة التي أصابت الأسرة هناك وأضعفت كلفتها إلا أن نفوذها لم ينته، واستطاع أبناء علي بن محمد وأحفاده أن يعيشوا في تلك الأرجاء ويحاولوا التماسك فيما بينهم والاحتفاظ بمركزهم بين قبائل عسير وبماضيهم الذي ورثوه واستمر ذلك حتى منتصف القرن السابع الهجري، حيث وقع الخلاف على الزعامة بين أبناء العم فصر بن حسان بن سليمان وهو الذي ينتسب إليه آل عاتق وابن عمه علي بن إبراهيم بن سليمان الذي ينتسب إليه آل يزيد الشعف والذي كانت إمارته على قطنان وشهران، حدث بينهما الخلاف فانقل علي إلى قرية (السرية) وهي لبني ماجور أحد فروع قبيلة ربيعة وحلفاء بني مفيد فكان أن قتل عام ٦٥٢هـ بقرية دلفان إجمدي قرى بني الأضرع وهم أحد

- ١٢٥ -

بفرض سيطرته على الحجاز، فقد خدمت للأشيديين مدة ثم للفاطمين بعد ذلك.

لقد كان سكان عسير يديرون شؤون بلادهم بأنفسهم، ويمتثلون الطاعة لصاحب النفوذ الكبير مضطحين عدم القتال وعدم الخوض في دماء المسلمين، ولكن إذا داهمهم عدو أو حاول غزوهم خصم وقوا في وجهه واستفادوا من مناعة بلادهم ووعورة أرضهم في حربه وردده خاسراً، فعندما قامت فتنة القرامطة في الجزيرة العربية، وغلبوا أكثر أهلها، ودانت لهم أكثر أجزائها استنعت عنهم عسير، ووقفت في وجههم، وردتهم على أقطابهم خاسرين، وتوقفت مجازر القرامطة وسوء أعمالهم عند أقدام مرتعات عسير.

واشتدت شوكة بني زياد في اليمن فتبعوا لهم، وقوي أمر المهديانيين بعد بني زياد فأعلنوا طاعتهم حتى جاء السلطنة عام ٤٩٣هـ (١٠٧٠م) فكان لهم بعض النفوذ على الأجزاء الشمالية من عسير.

وحكم الأيوبيون المنطقة كاملة فكانت عسير من جيلة أملاكهم، وورث بنو رسول في منعه الأيوبيون فامتدت سلطتهم إلى عسير، ووقع الخلاف بين بني طاهر وبين بني رسول فكانت عسير تتبع الأقوى، وتضع تارة لهؤلاء وأخرى للأولئك حتى إذا استقر الوضع إلى بني طاهر وحكموا اليمن باسم المماليك كان نفوذهم يمتد إلى بلاد عسير.

- ١٢٧ -

حتى يقول:

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنها هي ياقوت ومرجان يفودها العليج للكره مكرهه والمين بأكية والقلب حيران لئلا هذا يذوب القلب من كبد إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولم يكف الأسبان والبرتغاليون بهذا بل أرادوا ملاحقة المسلمين إلى المغرب وأخرجهم منها وبالقيل فقد استولوا على بعض المراكز على شواطئ البحر الأبيض المتوسط في شمالي المغرب مثل مكنة ووهران وغيرهما ولا تزال سبتة ومليلة بأيديهم إلى الآن، كما استولوا على مراكز على شواطئ المحيط الأطلسي غربي بلاد المغرب، وبعد أن استقروا في هذه المراكز شعروا أنها لا تكفي لتحقيق غيبتهم، لتسكن المسلمين في الداخل، وبعد أن ذهبت نفوة النصر الموقوت يبعث حقدتهم يبدؤوا التخطيط لتحقيقها فرأوا أن عليهم:

١- أن يعرفوا طرقاً تجارية جديدة غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون، وتصلهم هذه الطرق مباشرة بالشرق دون المرور بأرض المسلمين، وهذه العملية تفقد المسلمون الأراضي التي يجنونها من التجارة، وتضع بلادهم في معزل عن العالم، ولهذا نرى أن الدول الأوروبية المختلفة أسرعت الخطو للمعرفة الجغرافية والتي كان

- ١٢٩ - (وزارة المعارف - فكتبات المدرسة)

من نتائج معرفة أوروبا لطريق جديد هو طريق رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقيا ، وأمكن وصول أوروبا إلى الشرق مباشرة ، وإن طال الطريق فإن ذلك ليس له أية أهمية بالنسبة إلى القارة الموضوعة نصب أعين العالم النصراني . كما كان من نتائج هذا العمل معرفة أمريكا التي كانت عن طريق المصادفة في محاولة للوصول إلى الشرق باتجاه الغرب . وبالعمل فقد أضيفت معرفة أوروبا لرأس الرجاء الصالح إمكانات البلاد الإسلامية بشكل واسع ، إذ تحولت التجارة العالمية عن المرور عبر أراضيها ، وفقدت الأرباح التي كانت تجنيها من التجارة . وارتفعت أسعار الحاجيات التي كان يستجها الشرق ، كما نتج عن ذلك تأخر اقتصادي خرب البلاد وأثر على رفاه السكان ، وأوقف الحركة العمرانية ، كما تأخرت الصناعة التي لم يعد لها أسواق خارجية .

٢٠ - عند الوصول إلى شرقي بلاد المسلمين يجب السيطرة على تلك المناطق والاستعداد التام لقتال المسلمين ، وفتح المملكة عليهم من جميع التواحي بعد إحاطتهم بإحاطة تامة . كما يجب على الأوربيين الذين يصلون إلى البلاد المجاورة للمسلمين القيام بمحاولة نشر النصرانية بين السكان وحملهم على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها ، ومن الضروري هناك الاتصال بالنصارى كافة للفرص نفسه ، ويبدأ الاتصال بنصارى الحبشة ، وتقديم النموذج لهم على قتال المسلمين والاشتراك معهم تلك الغاية ، وفي الواقع فقد تم هذا الاتصال ، وحثت الحبشة ملوك أوروبا للقيام بحرب صليبية لإزالة الممالك الإسلامية التي كانت في حرب معها في شرقي إفريقيا .

- ١٣٠ -

وتبنت البرتغال هذه الآراء ، وأرادت تنفيذها بالدراسة والإعداد لها ، وبعد التهيئة وجدت أن أقوى الدول الإسلامية في تلك الفترة غير الدولة العثمانية النجدة نحو أوروبا ، إنما هي دولة الممالك التي كان مركزها القاهرة والتي تسيطر على شرقي إفريقيا ، وتساعد المسلمين في حروبهم مع الأتراك ، وأن هذه الدولة سيضطرون منها أول ما يضطرون بصفتها تسيطر على مراكز في شرقي إفريقيا ، لذلك يجب إرسال الجواسيس إليها لاتباء المعلومات العسكرية والبحرية بالدرجة الأولى واللازمة لتكفلهم النصرة عليها ، واستتادت من بعض اليهود الذين يجيدون العربية لوجودهم في الأندلس فأرسلتهم إلى مصر، والتفتت أهداف اليهودية مع أهداف الصليبية، وظهر هؤلاء اليهود الإسلام، وتقرروا من الحكام مستفيدين من أوضاعهم المادية الجيدة حيث وضعت الأموال تحت تصرفهم ، وبعد مدة استطاع هؤلاء اليهود أن يعرفوا أحوال الجيش الملوكي وأوضاع البلاد الداخلية كما حصلوا على خرائط ومصورتات للبحار ومعلومات عن الملاحة وطريقة التخلص من منطقة الهولاء الإستراتيجي التي بقيت لغزاً يصعب حلها لدى الأوربيين حتى تلك العاصفة تهدأ الرياح في المنطقة الاستوائية ولا تتحرك السفن التي تسير بالشرع وهي المعروفة فقط كذلك ولا يمكن التعلق إلا في الربيع شلالاً مع حركة الشمس الظاهرة وفي الخريف جنوباً مع الحركة نفسها . وعندما أخذ اليهود كل ما يريدون أنسلوا من مصر عائدين إلى البرتغال وقدموا ماصولوا عليه من معلومات إلى الحكومة، وبهذا

- ١٣١ -

www.asirnet.net

حصلت البرتغال على كل ما تريد ، فأرسلت ملاحها المشهور « فاسكودي غاما » الذي وصل إلى رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ م ، ثم تحركت سفنه في المحيط الهندي بالاتجاه شمالاً فطلع على المدن الإسلامية في شرقي إفريقيا ، وكان لا بد من الاستعداد مع الممالك (١) .

كان على الممالك أن يستعدوا لذلك وبخاصة أن المسلمين من مختلف المناطق قد بدأوا دعوتهم لحمايتهم وتجديدهم ومن هؤلاء طلب من اليمن ، من عامين بعد الوهاب سلطان بني طاهر ، وطلب من ملك كوجرات السلطان مظفر شاه يطلب مساعدتهم وقد كتب قطب الدين محمد بن أحمد الهرودي الملكي المتوفي عام ٩٩٠ هـ في كتابه غزوات الجراكسة والأفراك في جنوب الجزيرة والمسماة بالبرق اليمني في الفتح العثماني ما يلي « وقع في أول القرن الماشر ، من الحوادث القوادح النوادر ، دخول « البرتغال » (٢) ، الذين من طائفة الفرنج الملاحين ، إلى ديار الهند ، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة (٣) في البحر ويلجئون في الظلمات ، ويرون موضع قريب من (جبال القمر) (٤) يضم القاف وسكون الميم جمع أقر ، أي أبيض ، وهي

(١) يرجع إلى كتابنا الكشوف الجغرافية - حقيقتها - دوافعها .
(٢) البرتغال : بقصد البرتغال .
(٣) زقاق سبتة : مضيق جبل طارق .
(٤) جبال القمر : في جزائر القمر ، وهي أربع جزر بين جزيرة مدغشقر وقارة إفريقيا .

- ١٣٢ -

www.asirnet.net

البرتغال : فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً ، إلى أن أثر ضررهم على المسلمين ، وهم أذاهم على المسافرين ، فأرسل السلطان مظفر شاه بن محمد ابن أحمد شاه ، سلطان كوجرات يومئذ ، إلى السلطان الأشرف قاضوه العنوري ، يستعين به على الفرنج ، ويطلب المدد والإكالات والمدافع ، لعدم ضرر الفرنج عن المسلمين ، ولم يكن أهل الهند إذ ذاك يعرفون المدافع والمكاشل والبنديقات ، ومن أرسل إلى السلطان العنوري يطلب منه النجدة على الفرنج : السلطان عامر ابن عبد الوهاب ، لكثرة ضرر الفرنج بالمسلمين ، في بحر اليمن وينادوها ، وتواتر أذاهم ، وضمت جنود المسلمين في بحر اليمن ، وتلك الديار عن مقاومتهم ، لعدم معرفتهم بحرب البحر ، واستعمال المدافع ، ونحو ذلك ، فجهز السلطان (قاضوه) من كبار مقدميه الأمير (حسين الكردي) (١) .

إلا أن حسين الكردي احتل اليمن وقضى على دولة الظاهريين . واشترك في حروبهم أهل المنطقة ، ولم يكن الأسطول الملوكي بدرجة من القوة تؤهله للوصول إلى الهند ومقاومة البرتغاليين وبخاصة بعد تحطيم الأسطول المصري أمام الأسطول البرتغالي في معركة (ديو) (٢) البحرية التي وقعت عام ٩١٥ هـ - ١٥٠٩ م . وهكذا خضعت المنطقة إلى الممالك الجراكسة .

(١) البرق اليمني في الفتح العثماني ص ١٨ منشورات دار البعثة بالرياض ١٣٨٧ هـ .
(٢) ديو : موقع هندي جنوبي شبه جزيرة كوجرات على بحر العرب .

- ١٣٤ -

www.asirnet.net

مادة أصل بحر النيل (١) ، ويصلون إلى الشرق ، ويرون موضع قريب من الساحل ، في مضيق أحد جانبيه جبل ، والجانب الثاني بحر الظلمات ، في مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفنهم ، ويتكرس ، ولا يتجر منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة ، وهم يملكون في ذلك المكان ، ولا يخلص من طاقتهم أحد إلى بحر الهند ، إلى أن خلس منهم (غراب) (٢) إلى الهند ، فعلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر ، يقال له (أحمد بن ماجد) (٣) صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له (إلى مالدي) (٤) وعاشره في السكر (٥) ، فعلمه الطريق في حال (سكره) ، وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عردوا ، فلا تلاقوا الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنوا في « كوت » (٦) من بلاد (الدكن) قلعة بسورها (كوتا) ثم أخذوا (هرموز) (٧) وفتحوا هناك ، وصارت الأعداد تترادف عليهم من

(١) أصل بحر النيل : خطأ في معرفة منابع النيل .
(٢) غراب : نوع من أنواع السفن .
(٣) أحمد بن ماجد : الألاح العربي المشهور .
(٤) مالدي : مدينة ساحلية تقع في فانواتا اليوم .
(٥) فنية السكر لم تثبت وإنما دعابة ضد المسلمين شاعت آنذاك .
(٦) كوت : مدينة غوا على ساحل الهند الغربي .
(٧) هرموز : جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي بينه وبين خليج عمان .

- ١٣٣ -

ولكن دولة الممالك لم يطل عهدها بعد ذلك ، إذ نظر إليها العثمانيون فوجدوا أنها لم تقو على دفع البرتغاليين الذين تقدموا قليلاً أو راء على الدولة العثمانية التي تحارب في أوروبا . بسل وتقف أوروبا كافة في وجهها وبهذا تصبح بين فكي كاشته أوروبا من الغرب والبرتغاليين من الجنوب والروس من الشمال ، هذا إضافة إلى ما أعلنه القائد البرتغالي « البورك » الذي خلف « فاسكودي غاما » من أنه يريد انجاز مشروعين من مشروعاته قبل موته وهما :

١ - تحويل مياه نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من ري أراضيها ، ويخرب شبكة الري التي كانت قائمة فيها آنذاك ، ومن المعلوم أن مصر كانت أهم دولة إسلامية وقتذاك من حيث موقعها وعدد سكانها وامتلاكها رقة كبيرة من الأرض حيث كان يتبعها بلاد الشام وبلاد الحجاز .

٢ - تهديم المدينة المنورة في شبه جزيرة العرب ، وبشي قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كنوزها حيث كان يتصور أن خريجه ملي ، بالآلاف والمجوهرات شأن الفاتيكان ، وسرق رفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعلها رهينة حتى يتخلى المسلمون عن الأماكن المقدسة في فلسطين (١) .

(١) الكشوف الجغرافية ص ٢٨ منشورات الكتب الإسلامية بدمشق ١٣٦٣ هـ .

- ١٣٥ -

فكان على العشائين أن ينازلوا البرتغاليين قبل كل شيء، وجموعهم وذلك مانقضية الفكرة الإسلامية إذ أن حرب البرتغاليين صليبية واضحة إضافة إلى التاجية العسكرية حتى لا يظفروا من الجهات كلها، وكان أول عمل من واجهم القيام به هو توحيد ما أمكن من قوة المسلمين، ولما لم يستجب الماليك، كان لابد من القضاء عليهم واحتلال أراضيهم، وهذا ما كان قد تقدم السلطان العشائين سليم في بلاد الشام وانتصر على الماليك في مرج دابق، وقتل قاصوه العوري ثم دخل مصر عام ٨٩٣ هـ، واتصر أيضاً في البداية على أبواب القاهرة، ثم قتل (طومان باي) خليفة العوري بعد أن قبض عليه، وبذلك دالت دولة الماليك، وأرسل شريف مكة «بركات» ولده «أبو نبي» إلى السلطان وهو في مصر، فسلمه مغاتبش النحريين الشريفين اعترافاً بالطاعة والولاء، فأقره على إمرة مكة، وعهد إليه بقتل حسين الكردي حاكم جدة من قبل الماليك، وبالقفل فقد قتل الكردي غرقاً في البحر على الرغم من استسلامه، وفر عدد من الماليك الجركسة إلى اليمن، واجتمعوا حول الأمير برسباي في زيد، وكان قد قوي أمره هناك، وأراد امتلاك اليمن، فقتل عامر بن عبد الوهاب وأخاه عبد الملك وأكثر الأمراء الطاهريين في يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخر ٩٣٣ هـ، إلا أن أمر برسباي قد انتهى إذ حاجته جماعة من العربان وهو في طريقه من صنعاء إلى زيد، وقتلته، وتولى أمر اليمن بعده الأمير أسكندر الذي أتاه أمر من السلطان العشائين سليم عن طريق نائبه في مصر «خير بك» بأن

- ١٢٦ -

www.asirnet.net

تضايق أهل اليمن من ظلم الولاة العشائين، وخلافهم، وبكثرة استبدادهم التي دعت إلى وجود الفتن، فاستقل ولاية ببا تحت يدهم، وانفصل حكام في مناطقهم، عوسط بعض الطامعين على بعض القبايع، وهذا ما أشغل الدولة إضافة إلى شغلها الدائم فرغيت في إعادة فتح انيس وتوطيد نفوذها فيها فأرسلت عام ٩٧٨ هـ سنان باشا فأعاد فتح البلاد ونشر الاستقرار ولكن إلى مدة قصيرة من الزمن إذ عادت الأوضاع بعده إلى ما كانت عليه قبله بل ازدادت سوءاً مع زيادة ضعف الدولة العشائية، وكثرة حروبها في أوروبا التي تكاثفت في وجهها، وأعلنتها حرباً صليبية، ويجب ألا تنسى طبيعة البلاد السنية وبمعداه عن مركز الدولة وكثرة السكان لها لما لحسوه من ظلم ولائها وقسوة أمراتها، ثم هناك الخلاف العقائدي الموجود بين سكان أهل مرتفعات اليمن الزيديين وبين العشائين الذين هم من أهل السنة، يضاف إلى ذلك ضعف الولاة الذين تولوا أمر اليمن بعد سنان باشا، كل هذا جعل قبضة العشائين تتراخي وتضعف في تلك الأجزاء، فتطعم كل في منطقتهم يريد الاستقلال، وعزم زعماء على الانفصال، وحكم كل أمير قبيلته حسب رأيه وهواه، فتمت الفوضى وكثرت المحن.

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى وكثر الخلاف لابد لنا من أن نذكر حالة المناطق المجاورة لبلاد عسير والزعامة السنية تروا أن تلك الجهات أو الذين كانت لهم صلات بالأحداث التي دارت فيها آنذاك والذين لعبوا فيها دورهم.

- ١٢٨ -

www.asirnet.net

السنة وهم من الشوافعة، وقد استطاع القاسم أن يبالي العشائين وأن يعقد معهم اتفاقاً عام ١٠٢٨ هـ يحكم بموجب المرتصات، وقد جدد هذا الاتفاق من بعده ابنه محمد المؤيد، وسيطر الأسرة الزيدونية من أسرة القاسم على أكثر أراضي اليمن عام ١٠٤٢ هـ بسبب الخلاف الذي وقع بين الجند العشائين حتى إن السوالي العشائين قاضوه باشا الذي تولى أمر اليمن عام ١٠٣٩ هـ اضطر أن يلتجئ إلى الإمام الحسين بن القاسم عام ١٠٤٥ هـ بعد أن حوصر في قلعة، ثم ترك اليمن، وفر إلى مصر، وهكذا انتهى حكم العشائين في اليمن واشتدت أسرة القاسم الزيدية بتدبير شؤون المنطقة، وباعتبر كثير من المؤرخين أن دولة صنعاء الزيدية ليست إلا امتداداً لدولة بني رس في صنعاء إذ أن القاسم يعود في نسب إلى أحد حكام دولة بني رس.

كان الأسرة الزيدون يحاولون دائماً مد نفوذهم إلى تهامة وكثيراً ما خضعت لهم وحكها بعض الأمراء باسمهم، وفي الوقت نفسه كان أهل عسير يحاولون أحياناً مد نفوذهم إلى تهامة ويعيدون عوة لهم من أهلها الذين يلتقون معهم في المذهب حيث يتبعون مذهب أهل السنة وكلاهما أيضاً من الشوافعة ولذلك كانت تنفع الحروب بين الأطراف المتنافرة وتكثر الغارات بينهم.

- ١٤٠ -

www.asirnet.net

يكون والياً على اليمن من قبل العشائين، فامتثل بوهكذا خضعت المنطقة إلى حكم بني عثمان، إلا أن هذا الخضوع كان اسياً، إذ بقي الأمراء في تناحر وخلاف، يتصم بعضهم في حصونهم منقطة ينادر الولاة، أو يعلن العصيان ويقاوم الجوار.

وكان البرتغاليون قد استولوا على بلاد الهند، وعجز أهلها عن مقاومتهم ودفع ضررهم ومنع إلحاق الأذى بالمسلمين، حتى أنهم غدروا بالسلطان بهادر شاه صاحب كوجرات فقتلوه غدرًا، فاستنجد عند ذلك أهل الهند بالسلطان سليمان القانوني الذي طارت شهرته في الآفاق لما قام به من فتوحات في أوروبا وانتصارات على أعدائه، فتحررت فيه حبة الإسلام فأرسل لهم نجدة بحرية بقيادة سليمان باشا، تحرك هذا القائد بأسطوله يريد الهند، وفي طريقه عرج على عدن، وقتل غدرًا أميرها عامر بن داود من بني طاهر، فأعاقب نصره هذا الناس ووصلت أخبار عمله هذا وأضرابه إلى مختلف المناطق حيث كان يغاها للبدء محيا للشر بالسلطة في كل مكان يصل فيه. فها هنا وصل إلى الهند خافه المسلمون فيها لما سمعوه عنه وأرادوا التخلص منه، وأظهروا له اتفاقهم مع البرتغاليين يكتب مزورة، ووصلت، فقرر مغادرة الهند على عجل، وترك لبرسته أضخم مدافعه فيها وعاد إلى اليمن عام ٩٤٥ هـ، فقد كان كثير الخوف، وجاءه «خوار» رغم كل ما فيه من غلظة وقسوة، ومن اليمن عاد إلى مصر فاستأينول.

- ١٢٧ -

١ - اليمن

كانت صنعاء عاصمة دولة بني رس الشيعية التي قامت عام ٢٨٠ هـ، وقد استطاع حكامها الاستيلاء على صنعاء عدة مرات، واستمر أمرهم في المنطقة عدة قرون، وهم يعودون بنسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وزال دولتهم بعد قيام بني رسول وبني طاهر.

وعندما استولى العشائيون على اليمن كان بعض الأئمة الزيديين الذين يتنصبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب والذين يعيشون في مرتفعات اليمن على أحسن حال مع الولاة على حين لم يتزج بعضهم الآخر معهم أبداً، وظلوا مراكبين لهم حفاظاً على استقلالهم. وتفرّد الإمام المطهر بن من هؤلاء بأنه كان هو والولاده من بعده من أشد من أبدي عداوة للولاة العشائين وأكثرهم شرارة في مقاومتهم، وقد بدأت هذه المناقمة منذ عام ٩٦٤ هـ، وقد استطاع عام ٩٧٥ هـ يستولي على صنعاء، وآت البلاد كلها إلى اضطراب وبهذا مادعا محي، سنان باشا لـسكا ذكراً آتفاً. ولكن بعد زوال سنان باشا عن اليمن وحوالي العام ١٠٠٠ هـ ظهر القاسم المنصور بالله بن محمد، وكان من أعظم الأئمة الزيدون، إذ استطاع أن يجمع حوله رؤساء القبائل وشيوخها كلهم وأن يؤسس حكومة مستقلة في المناطق المرتفعة من اليمن حيث يقم الزيدون ينشأ المناطق المجاورة لها من الجهات كلها يسكنها أهل

- ١٢٩ -

٢ - الحجاز

حكم بنو الأخضر مكة ونجد منذ عام ٢٥١ هـ واستمر حكمهم حتى عام ٣٥٠ هـ. وقد دالت دولتهم بشتة القرامطة، وهم من أحفاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب. وجاء إلى حكم الحجاز بعد فتنة القرامطة آل موسى حيث استمروا في مكة والمدينة حتى عام ٥٣ هـ، إذ خلفهم بنو عائش «بنو فليتة» وهم من أحفاد الإمام علي أيضاً، ودام حكمهم ٤٦٠ - ٥٩٨ هـ، إذ جاء أمير ينع أبو عزيز قتادة وحكم مكة، وهو من نسل الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب أيضاً، ودان له القسم الغربي من بلاد اليمن، ومن بعده حكمت أسرته الحجاز واستمر أمرها حتى عام ١٣٤٢ هـ، وكان آخر أفرادها الشريف الحسين بن علي وابنه علي، وكان هؤلاء يعرفون باسم الأشراف، لانتسابهم الذي ذكرناه.

كان أمراء الحجاز جميعاً يتبعون السلطة القوية سواء أكانت في بغداد أيام قوة الدولة العباسية أم في مصر أثناء حكم الدوليات وعندما وصل السلطان الشافعي سليم إلى مصر فاتحاً أرسل شريف مكة من أسرة قتادة وهو الشريف «بركات» ابنه «أبو نبي» إليه، فأقره السلطان على الشرافة، وأصبح الشرافة يرتبطون بالدولة

العشائية عن طريق ولائها في مصر.

كانت سلطة أشراف مكة تمتد إلى عسير، أو يستعلي أمرهاؤها عليهم، أو يختلفون عليها مع أئمة صنعاء، أو على مناطق تهامة في

- ١٤١ -

www.asirnet.net

أوقات أخرى ، أو عندما يريد كل مدة تفوذه على ما جاوره من أرض ، وأحياناً كثيرة يختلف أبناء الأسرة الواحدة على الشرافة ويتبع بينهم القتال ، كما أن الأشراف كانوا يلجؤون إلى عسير لطلب النجدة ، أو اللجوء إليها .

ولموقع عسير استراتيجية جغرافية هامة سواء بالنسبة للبين أم بالنسبة إلى الحجاز فهو بمثابة جسر قوي تحطم دونه مطامع ولاية البين في الحجاز ، وولاية الحجاز في البين ، لأن اجتيازها إلى إحدى المنطقتين ليس بالأمر السهل بسبب كثافة سكانه ، وبوعورة مسالكه ، وشدة بأس أهله ، وشجاعتهم وتفاهم في الذود عن حياض بلادهم ووقوفهم في وجه الغزاة متأسكين ببسالة وصمود وأناة وحسية نادرة ، لذلك نجد غزاة الحجاز البين يستعملون عن سلوك طريق عسير متخذين طريق الساحل مسراً آمناً لسهولة ولأن مسالكه واضحة لا عناء فيها ولا مشقة وهذا كان طريق الجراكسة والمشائين ولهذا أصبحت عسير في مامن من الظالمين لوقوعها بين أطراف البين وأطراف الحجاز طيلة مدة ليست بالقصيرة من الزمن بالنسبة إلى تاريخ عسير السياسي ، ونجد الحروب تشتد بين معظم تلك القبائل التي يحتضنها الحجاز شمالاً ، ونجد شرقاً والبين جنوباً بين وقت وآخر وتلجأ إلى الاستماعة بأحلافها وحلفائها على بعضها بعضاً في أغلب الأدوار التي مرت بها هذه المنطقة فهي أشبه ما تكون منزوية على نفسها لا تلمح في التوسع ولا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها .

- ١٤٢ -

٣ - تهامة

تهامة هي المناطق الساحلية والسفوح الغربية لجبال السروات يقطنها - كما ذكرنا - أهل السنة وكلهم من الشوافعة تقريباً . وقد خضعت هذه المنطقة للحكم بأسر محلية كانت تدبر شؤون إمارتها باسم الحكومات القوية التي كانت تسيطر على المنطقة سواء التي كانت في مصر أم التي تقوم في بلاد البين وأحياناً قليلة كان هؤلاء أشراف مكة يصل إلى أرضهم أو يستنجدون بهم على غيرهم أو بالعكس يستعينون بغيرهم عليهم ، ومن هذه الأسر :

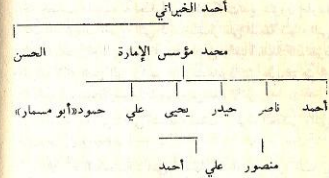
أسرة الحكيم : التي أسسها سليمان بن طريف الحكيم والتي دامت حتى عام ٣٩٣ هـ .

الأسرة السليمانية : التي أسسها سليمان بن داود الذي استولى على المنطقة بمساعدة يحيى بن الحسن الهادي . وكانت تحكم باسم آل زياد بن زيد . ثم كان فوذ بن نجاح والصليحين والمهديين وغيرهم من دول البين .

ومن الأسر الأخرى آل القطبي والذروث والخواجيز . وأخيراً جاء آل الخيرات إلى زعامة المنطقة ، وقد أسس إمارتهم محمد بن أحمد الخيراتي وتولى الإمارة من بعده أبنائه ، فوخوا في خلاف كبير مع بعضهم بعضاً منذ وفاته ، فكانوا ضد بعضهم بعضاً يستنبطون بجند مرتزقة من قبائل اليوم في نجران ، أو يستنجدون بإمامهم ، وقد تمت التوضيحية لاضطراب

- ١٤٣ -

حتى انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب بين أهل تهامة ، ووصل إلى الإمارة آنذاك حدود بن محمد وهو الذي عرف بأبي مسار . آل الخيرات : وهم فرع من أشراف مكة انتقلوا إلى المنطقة لما حصل خلاف بين الأسرة من أجل الحكم . أحمد الخيراتي

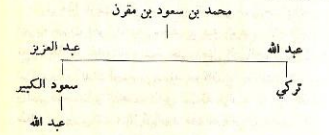


٤ - نجد

كانت نجد تحكم بواسطة أمراء محليين في كل بلدة أمير وعلى رأس كل قبيلة شيخ ، ويخضع الجميع إسمياً لسلطة المشائين . وقد عمت المنطقة التوضي وسادها النزاع بين الجميع فالعرب دائمة والخلافات قائمة واستمر ذلك الوضع حتى كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي وجدت الغناء الكثير من قبل السكان إلى أن قبلها حاكم بلدة الدرعية محمد بن سعود ، وعمل على نشرها فعمت وذاع صيتها وكانت

- ١٤٤ -

لها دولة قوية هي الدولة السعودية الأولى التي أسسها محمد بن سعود وتولى أمرها أبنائه من بعده ، وقد امتد نفوذها إلى أرجاء الجزيرة العربية كافة باستثناء مناطق قليلة في مرتفعات اليمس وحضرموت وعمان .



٥ - عسير

وكانت الكلمة الأولى في مرتفات عسير تعود إلى أمراء من آل زيد إلى أن تنسب بينهم خلاف على الزعامة فازدوى قسم منهم في الصف وبقي الفرع الآخر في منطقة أمها يدبر شؤون قبيلته باسم أشراف الحجاز ، وأحياناً ينتفض بعض الأمراء على الأشراف ، ويدخلون إلى بعض جهات تهامة ، وربما وصلت سيطرة أهل الين إلى مرتفاتهم ، ومن هذا الترع نشأت أسرة آل عايش ولحكم المنطقة كاملة . واستمر وضع عسير على هذه الحالة حتى كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب في نجد ، وكانت الدولة السعودية في الدرعية .

- ١٤٥ - (وزارة الدف - الكتبات الدف)

www.asirnet.net

الفصل الثالث

المصوّر الجديدة

في هذا الوقت الذي عمت فيه التوضي في أرجاء الجزيرة العربية ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في نجد وبدأ نفوذها ينتد ويتسع حتى وصل إلى الحجاز ، وكان شريف مكة آنذاك أحمد بن سعيد ، وكان يكره المشائين بسبب واليهم «محمد أبو الذهب» الذي كان قد عزله عن شرافة مكة وتولى مكانه حسين بركات ، إلا أن أحمد هذا قد قام على حسين وقتله ، ونسك نفسه بالشرافة فالتقى مع السعوديين على كره المشائين فسمح لأهل نجد بالفتح عام ١١٨٣ هـ ، وكانوا قبل ذلك قد منموا بسبب الفكرة السلفية التي يوصلونها والدعوة التي يتبنونها وبعد أعوام ثلاثة أثار الأشراف في مكة على أحمد بن سعيد وعزلوه ولو لمكانه الشريف سرور بن مساعد الذي استشر شرفاً على مكة ١١٨٦ هـ ١٢٠٣ هـ لم يخاضم أثناء هذه المدة كلها السعوديين منا جعل دعوتهم تنتشر بين رجالات بعض القبائل ، أو يقبل عليها كثير ممن يطمح أن يكون له دور في المستقبل فإن هناك إشارات تدل على نجاح الدعوة أو أن يكون لها دور بارز مع الأيام . ونوفى سرور بن مساعد عام ١٢٠٣ هـ فخلقه في الشرافة أخوه

- ١٤٦ -

عبد المين بن مساعد ، ولكنه لم يلبث سوى يوم واحد حتى اعتزل الأمر وتنازل لأخيه غالب بن مساعد . جاء غالب بن مساعد شرفاً على مكة فاختلف مع السعوديين إذ خاف على أملاكه بعد أن رأى اتصاف السعوديين على بني خالد في الإحساء ، فكتب الذين لم يستسلموا منهم بعد ، ووعدهم بالنصر ، واستنجد بالمشائين على السعوديين ، ودارت معارك بين الطرفين استمرت مدة شرافته على مكة ١٢٠٢ هـ - ١٢٢٠ هـ . إن وجود التوضي في المنطقة ، ورغبة الناس في التخلص منها ، وقناعتهم بأن الإسلام هو العامل الوحيد لانتشار الرخاء والتضاء على الظلم والاستبداد ، واستعدادهم الفكري لقبوله ، وانتشار الدعوة التي تحل هذا الشعار في نجد ، وتوسعها والدعاية لها في المناطق كلها ، ومهادنة شرافة مكة لها ، قسم هناك الطمع والرغبة الشخصية في ارتفاع المركز وعلو الشأن جعل الكثيرين يتبنون هذه الدعوة ، وحسب دوافعهم يتخذون الوسيلة اللازمة ويسلكون الطريق المؤدية لأغراضهم .

كان من الأشخاص الذين قبلوا على الدعوة وكان لهم أثر في المنطقة محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب في السراة ، وعمر ابن شار في بني شعبة ، وحسين بن أحمد التائي الذي استقر في وادي ييش عند قبائل الجمافرة إضافة إلى قبائل شهران وقحطان التي انتشرت بينهم بشكل أوسع نتيجة اتصافهم بنجد أكثر من سكان السراة وتهامة .

في بداية عام ١٢١٥ هـ ، وفد إلى الدرعية محمد بن ناصر

- ١٤٧ -

www.asirnet.net

وأخوه عبد الوهاب من آل المنحبي من قبيلة ربيعة ورفيدة إحدى قبائل سرة عسير ولقب من عسير وكما يقول صاحب تاريخ الخلافة السليمانية محمد بن عيسى العقيلي « طلباً للعلم ورغبة في الدعوة وفوراً بالزلفى في أخذ مبادئها - التي لها الهداية والثبوت - وتنتج لمريدها السيادة والمجد^(١) » .

وعاد الأخوان من الدرعية ، وقد حصلوا على ما يفيان ، فقد أسند إليهما عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية مهمة نشر الدعوة في عسير وحمايتها . وعندما وصلوا بدأ يتصرفان كأمراء مما حدا بالأمير من آل يزيد أن يقف في وجههما ، وهو محمد بن أحمد بن محمد ، فاستنجد بالدرعية ، فأرسلت لهما جيشاً استطاع به أن يقتل محمد بن أحمد بن محمد أمير عسير من آل يزيد ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على المنطقة منذ ذلك الوقت ١٢١٦هـ ، وبعد أن أصبح صاحب الكلمة الأولى فيها ، أخذ يحارب خصوم الدعوة السعودية سواء أكانوا في تهامة أم في الحجاز ، واتخذ إحدى قرى قبيلة ربيعة ورفيدة وهي طيب مركزاً لحكمه ، وقد عرف باسم « أبو قطة » حيث كان جده يكنى بذلك لقطة كانت على عينه فاشتهر بها هو وذريته ، وقد عمل على إخضاع قبائل رجال ألمع ، ثم رحل إلى الدرعية وفي أثناء عودته توفي في الطريق

(١) تاريخ الخلافة السليمانية ص ٥٧١ القسم الثاني من الجزء الأول/ طبعة الرياض ١٣٧٨ - ١٤٥٨ .

- ١٤٨ -

www.asirnet.net

دقيان علكم وبعض بني مالك بإمرة سالم أبو حامد : فأبعدوا شهران من قري آل القمر وأعادوا أصحابها إليها ، وقتلوا محمد ابن سعد أبو سرح ودمروا قريته بأعلى وادي عتود وعين الأمير محمد بن أحمد أميراً على شهران ونهاس سالم بن حسين ترشيدني إلا أن سعد بن عبد الله بن حدان هجم على الأمير سالم وقتله فهرب ابنه مشيط إلى الأمير محمد بن أحمد وأخبره بما حدث فأعاده مع كتاب إلى غشام بن عامر أمير قحطان ورفيدة وأمره فيه أن يتوجه إلى شهران لقتل ابن حدان وإعادة مشيط إلى مشيخة شهران وذلك في عام ١١٨٣ هـ ، وبقي مشيط أميراً على شهران ونهاس ، والزعم بحماية سوق شهران من الفتن والقتل

وفي عام ١١٨٧ هـ غزا الأمير محمد بن أحمد رجال الحجر وأدخلها في ماعته .

وفي عام ١١٩٠ هـ غزا بني شعر فدانت له .

وفي عام ١١٩٣ هـ سار مع رجال الحجر إلى غامد وزهران فنخضت له . وفي العام نفسه توجه إلى بني شعبة في تهامة فأقرت له بالسيطرة والحكم .

وفي عام ١١٩٧ هـ غزت قحطان تليلث (بلاد يشة) وقطعوا معقلها ، فتوجه الأمير محمد بن مساعد المهدي إلى الأمير محمد بن أحمد يستصرخه ، فأمر بني مالك وبني منبه وشهران

- ١٥٠ -

www.asirnet.net

وفي عام ١٢١٠ هـ دخلت قحطان وشهران في طاعة ابن سعود ، وامتنت على الأمير محمد بن أحمد الذي توجه لإعادتها إلى ماعته وحددت معارك طاحنة في سبيل ذلك ، وتوجه مشيط وغشام إلى الدرعية لطلب النجدة . وكان محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب هناك ، وفي العام نفسه عاد من الدرعية عيسى بن الحسن المنظفي وعبد القادر بن أحمد .

وفي عام ١٢١١ هـ وجه أمير عسير لمحاربة شهران جيشاً بقيادة مفرح بن أحمد بن عبد الله المشيبي الدوقي إلا أن هذا الجيش قد لقي الهزيمة .

وفي نهاية عام ١٢١٣ هـ داهمت قوات نجد منطقة يشة التي ترابط فيها قوات محمد بن أحمد آل يزيد بقيادة مرعي (بن عاتق) الذي قتل في المعركة ، وانحدرت قوات آل يزيد بعد أن انحازت بعض قبائل يشة إلى جيش نجد برئاسة سالم بن محمد بن نكبان .

وفي عام ١٢١٤ هـ رجع محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب ومشيط وغشام إلى بلدانهم واجتمعوا لمحاربة الأمير محمد بن أحمد في عسير إلا أنهم لم يتمكنوا منه فرجع محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب إلى الدرعية لطلب النجدة منها .

وفي عام ١٢١٥ هـ جاءت جيوش ابن سعود مع شهران وقحطان ويشة إلى عسير وقتلت الأمير محمد بن أحمد ودخلت المنطقة في طاعة الدرعية ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على عسير

- ١٥٢ -

www.asirnet.net

وقد أصابه الجعري وذلك عام ١٢١٨ هـ ودفن في يشة ، فتولى أمر عسير مكانه أخوه عبد الوهاب أبو نطقة .

وقد جاء في مذكرات جعفر الحفظي أثناء كلامه عن أحداث هذه المنطقة ما مفاده أنه في عام ١١٧٧ هـ وقد إلى الدرعية بعض أعيان عسير ومن جملتهم محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب وطامي بن شعيب من آل المنحبي ومن آل الحفظي علي بن الحسن وعبد القادر بن أحمد وعبد الله بن عبد الرحمن وزين العابدين وسواهم لطلب العلم على يد علامة زمانه محمد بن عبد الوهاب .

وفي عام ١١٧٩ هـ وجه أمير الدرعية محمد بن سعود مع محمد بن عامر وأخيه عبد الوهاب كتاباً إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه إلى الدين ونيل الشرف بدعوة من إليهم إلى التمسك بما كان عليه السلف الصالح ، وقد وجد الأخوان خصوصاً لأن الناس غنوا أها دعوة تملك وتقلب ، فرفضها الأمير محمد بن أحمد بن محمد ، فماد إلى الدرعية لطلب النجدة وبان الواقع . وكان الأمير محمد بن أحمد واسع السلطة تدين له شهران وقحطان ورجال الحجر وبني شعبة وغامد وزهران .

وفي عام ١١٨١ هـ قامت شهران بقيادة أميرها محمد بن سعد أبو سرح على آل القمر (قبيلة بين عسير وشهران) وأجلوهم عن قراهم ، فقتلوا الأمير محمد بن أحمد في السقا ، فأرسل لهم الجيلي أبو زوعة ويحيى بن محمد وسليمان بن عايش الهراوي

- ١٤٩ -

بقر قحطان وقتلهم ، وأمر ابن عامر بالتوجه إلى تليلث لضما إلى ملأته

وفي عام ١١٩٩ هـ غزت قبائل يام مع المكري نجداً وعسيراً وكان كبير غزوها لعسير طامي بن نصيب وأصله من رفيدة قحطان ودخلت يام بلاد قحطان وشهران وأفسدت فيها وتوجهت إلى عسير فواجهت قوة محمد بن أحمد فاهزمت بعد ملحمة عظيمة في بلاد شهران قتل فيها أكثر الباشية وكفى الله شرهم وكانت دعوتهم تمت إلى الأسياضية بصلة .

وفي عام ١٢٠٥ هـ غزا الأمير محمد بن أحمد بلاد سحان ووادة ، وكان يسود شهران يومذاك مشيط ، وقحطان يتزعها غشام .

وفي عام ١٢٠٧ هـ خرجت بلاد غامد وزهران مع شريف مكة على عسير فالتقوا بـ سكان يسمى الجرف من بلاد غامد مع الجيش العسيري بقيادة غريم بن سعيد العسيلي ، ومحي بن الأسلم ، (ابن مارد ، وابن جلي) أمير بالقرن وشهران ، ومبارك بن سعد أمير بني عسرو ، وضامن أمير غشم .

وأما هذه القوة التي أضحت للامير محمد بن أحمد من آل يزيد كان لا بد من حدوث الصدام بينه وبين ابن سعود أمير الدرعية الذي رمت دعوته أيضاً في بلاد عسير .

وفي عام ١٢٠٩ هـ غزا ابن سعود يشة وتربة وثبالة ورونة وعاد بعد أن هبت برؤايه أهل هذه الجهات

- ١٥١ -

من قبل آل سعود . وقد رأينا أنها انتقلت الإمارة بعد ذلك إلى أخيه عبد الوهاب^(١) .

دخل عبد الوهاب في حروب مع غالب بن مساعد شريف مكة ، ومع أمير أبي عريش^(٢) من آل الخيرات ، أما حروبه في الحجاز فقد اشترك في ثلاثتها هجوماً على قوات غالب بن مساعد وحالته النصر فيها جميعاً ، أما حروبه في تهامة فقد طالت وتابنت: إذ كان أمير أبي عريش في البداية علي بن حيدر من آل الخيرات ، وعامله على صيا^(٣) عنه ناصر بن محمد .. ثم تنازل ناصر لابنه

(١) ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) أبو عريش : مدينة تقع في منطقة جيزان ، ومن أشهر مدنها ، إلى الشرق منها على مسافة ٣٢ كم ، وعلى ارتفاع ٧٧٠ م عن سطح البحر ، يقدر عدد سكانها اليوم بخمسة عشر ألفاً ، وهي مدينة قديمة جدها في القرن السابع آل الحاكمي ، وكان رجلاً صالحاً فاشتهر في المدينة عريشاً فقصده الناس لطلب العلم فعرفت باسم « أبو عريش » وبعد ذلك بقرون أصبحت مركز منطقة جيزان كلها . (٣) صيا : مدينة في منطقة جيزان ، إلى الشمال الشرقي منها وعلى مسافة ٣٢ كم ، وهي الآن بلدان : القديمة ، وترفع على طرف الوادي المعروف باسمها ، ولقربها من فان خطر الفيضان ينفذها الأمر الذي جعل المسؤولين يقيمون سداً من الحجر بجمعها في القسم الشرقي منها ، أما القسم الجنوبي فلا يفصله عن السيل سوى سد ترابي لا أثر كبير له ، أما الثانية وهي الجديدة فقد بناها الإدارسي عام ١٢٣٨ هـ شرقي الأولى بخمسة كيلو مترات ، واظط عليها اسم الإدارسية ، ولا تزال آثار قصره قائمة . وبعد ذهابه عادت لاولى أهميتها وترك الناس الجديدة .

- ١٥٣ -

منصور ..

وعندما بدأت الدعوة الوهابية تنتشر في المنطقة على يد أحد بن حسين الفلتي خشي أمير صيبا على نفسه فاستنجد بأمر أبي عريش الذي سار على رأس قوة إلى منطقة الجمفرة حيث يصيب أحد بن حسين الفلتي فانتصر عليهم ، وهذا ما دعا الدرعية إلى أن ترسل سرية بقيادة حزام بن عامر المجاني إلى المنطقة وعندما وصلت انضم إليها كل من عرار بن شسار في بني شعبة والفلتي إلا أن الصلح قد تم بين الفريقين على أن يقوم آل الخيرات بالدعوة في منطقتهم ، فعاد حزام من حيث أتى ، ثم تنازل علي ابن حيدر عن الامارة لعمه حمود الذي عرف باسم « أبو مسنار » ، ووافق امام صنعاء الذي يرتبطون به على هذا التنازل رغم أنهم وعدوا بالدعوة إلى السلفية في منطقتهم أمام سرية حزام ، ومعنى ذلك ارتباطهم بالدرعية إلا أن الواقع يشير إلى أنهم لا يزالون مرتبطين بإمام صنعاء . وحادث خلاف بين الفلتي وأهل المنطقة الذين استنجدوا بأمر أبي عريش حمود أبي مسنار فأمدهم بسرية رفض أمير صيبا الاشتراك فيها فهزم الفلتي ، وجاء عرار ابن شار لمساعدة الفلتي إلا أنه لم يحدث قتال لتوسط أمير صيبا منصور بن ناصر ، وعادت سرية أبي مسنار إلى أبي عريش أما عرار فقد تقدم إلى صيبا واتفق مع أميرها منصور الذي كان على خلاف مع عمه حمود أبي مسنار ، وتماهدا على العمل للدعوة السلفية .

- ١٥٤ -

www.asirnet.net

بقاء أمور الجهاد مرتبطة بعد الوهاب ، وحتى لا تساور الشكوك عبد الوهاب أخيره مسيرة الوفد للتمزية والمبايعة وتم لحمود ما أراد وحصلت الموافقة على الارتباط المباشر بالدرعية .

وسار حمود أبو مسنار لغزو الين

وفي عام ١٢٢٠ هـ صدرت الأوامر من الدرعية إلى أمير صيبا منصور بن ناصر وأمر بني شعبة عرار بن شار بالتفرع مع عبد الوهاب إلى الجاز لقتال شريف مكة وانطلق المقاتلون وكان عرار ، فوقع شيء في نفس عبد الوهاب ، فوج قاتل حملة عرار أخاه عيسى بن شار وعاقب بني شعبة فوقع الخلاف بين عرار وعبد الوهاب

استنجد عرار بحمود أبي مسنار واستمال بعض رجالات ألم وتقدم نحو بلادهم واختلها ، وطلب وقدأ من الدرعية لفصل النزاع

تقدم عبد الوهاب بصلصة وصلت إلى درب بني شعبة واحتلته وعاد إلى عسير ووصل وفد الدرعية إلى المنطقة وطلب مسير حمود وجمعه عرار ، وأمر صيبا منصور ، وعبد الوهاب إلى الدرعية ولبي الجميع الأمر إلا حمود فتسدد تسلل ووافق على إرسال ابنه وزيره حسن بن خالد بدلا منه لانشغاله ...

بدأت المحاكمة في الدرعية واستطاع عبد الوهاب أن يثبت

- ١٥٦ -

www.asirnet.net

جاءت نجدة من الين إلى أبي عريش قوامها ألف مقاتل من الإمام أحمد بن المنصور الذي كان على صلة طيبة بالشريف حمود الذي ساعده على إقصاء أبيه المنصور عن الحكم وتسلم الأمر دونه ، وصار حمود يتصرف ببعض الأمور من خلف الإمام الجديد أحمد ، ولعل مساعدة الين جاءت لأن السموذيين كاتبوا المنصور يعرضونه على قتال أبي مسنار ، وربما كان يجب ذلك ، ولكنه يفتنى إن وقعت الحرب بينه وبين أبي مسنار الذي يحكم أجزاء واسعة من الين - حسب رأيه - بينما حسب رأيه أيضا أن للاشراف تهامة الحجاز فقط - يفتنى أن يستغل إمام الدرعية الفرصة ويهاجم الين . فلما أعطاه سمود بن عبد العزيز العهد بالأمر تعرض للين بسوء وحرشه على حرب أبي مسنار فمل واتنصر عليه ولذا عرض ابنه عليه ، فلما ذهب من الحكم ، وجاء أحمد أصبح أبو مسنار يعتمد عليه في حربه ضد السموذيين .

وصدر أمر من الدرعية بنزول عثمان المضايقي من الحجاز وطامي بن شبيب من عسير إلى أبي عريش والتقى القائدان في ميناء الشقيق عام ١٢٢٥ هـ ، وانتهى الأمر باندحار الشريف حمود في بريم ، واستولى المهاجمون على ميناء اللحية وجيزان . وعاد كل إلى مقره وعاد طامي بن شبيب بعد ثلاثة أشهر إلى المنطقة ودخل اللحية مرة ثانية .

ولما ضعف مركز الشريف حمود أرسل أرملة رجال من بني عه بعض الهدايا إلى سمود بن عبد العزيز بن محمد أمير الدرعية

- ١٥٨ -

www.asirnet.net

غضب حمود أبو مسنار على ابن أخيه منصور ، وسار بقوة انتصرت على عرار والفلتي ، وسار من طرف آخر حزام بن عامر وزيران القحطاني والتصلوا بعرار والفلتي ومنصور وكرونا جهة واحدة ضد حمود أبي مسنار إلا أنه انتصر عليهم فاستنجدوا بالدرعية وخاف أبو مسنار فاضل بصنعاء إلا أن اتصاله قد باء بالفشل .

وجاءت أوامر الدرعية إلى عبد الوهاب بن عامر أبي نقطة أمير عسير بالتقدم إلى أبي عريش على رأس حملة ينضم إليها كل من حزام وعرار والفلتي وسارت الحملة واستسلم آل الخيرات وتمهد حمود أبو مسنار بالعمل بالدعوة ، وبدأ بنزوه الين على حين رجح عبد الوهاب إلى عسير ، وأصبح له حق الاشراف على المنطقة كاملة .

بدأ حمود أبو مسنار يطلب بالفضالة عن عسير لما في نف من أطماع ، وبث وفدا مؤكلا ابنه سمود بن وزيره حسن بن خالد وأن أخيه أحمد بن حيدر ، كما ذهب عن صيبا الأمير منصور بن ناصر ابن أخي أبي مسنار .

وفي هذه الأثناء توفي أمير الدرعية عبد العزيز بن محمد بن سمود وتولى الأمر مكانه ابنه سمود بن وزيره حسن بن خالد وأن يذهب الوفد السابق لتقديم التعازي ، والتهنئة والمبايعة ، والتعهد بدفع الخراج والجهاد في الين ، والارتباط بالدرعية مباشرة مع

- ١٥٥ -

ما لديه من وثائق أن عراراً يشير الفتننة وأن منصوراً وحموداً يساعدها ..

فأبقى أمير الدرعية عراراً لديه وعفى عن الآخرين ، وتم الاتفاق على أن يكون عمال الخراج في منطقة أبي عريش من قبل الدرعية ، كما أبقى منصور أمير صيبا مرتبطاً بالجهاد مع عبد الوهاب وطلب منه أن يهذب حموداً .

انتصر حمود على إمام الين في تهامة ، ولكن بدأت تظهر بعض نواياه تجاه السموذيين ، فوصل وفد برئاسة طامي بن شبيب إلى تهامة فلم يجد عند حمود ما يشير الشكوك لما أظهره لهم ، إلا أن الأمر لا يمكن أن يطول إغفاله إذ أبدى لعمال الدرعية الذين يجمعون الخراج في منطقتهم بعض نواياه ، فوصل ذلك إلى سمود أمير الدرعية الذي طلب من عبد الوهاب غزوه ، وتأهب الطرفان والتقت القوتان في وادي شيب ، وكانت معركة حامية انتصر فيها جيش عبد الوهاب إلا أنه خسر قائده عبد الوهاب عام ١٢٢٤ هـ .

وتحصن الشريف حمود في أبي عريش .
تولى أمر عسير بعد عبد الوهاب ابن عمه طامي بن شبيب بأمر من الدرعية ففتح ابن عمه الثاني محمد بن أحمد للتحصن أميرا على صيبا ومنطقة عيش ، وعندما وصل هذا الأمير إلى صيبا جاءه جيش حمود أبي مسنار معاصرا له ، وفي مطلع عام ١٢٢٥ هـ جاء طامي بن شبيب بقوة فككت الحصار عن صيبا ونظم أمر العاصية وعاد إلى مقره في عسير ، بينما كان حمود قد انسحب إلى أبي عريش واعتصم فيها .

- ١٥٧ -

وكان يومذاك حاجا في مكة فاطموا له الطاعة فمعا أيديهم . وربما كان الذي توسط للصلح بومذاك محمد بن علي الحسيني أمير صنعاء ، وكان الاتفاق الذي تم نتيجة هذه المصالحة تنازل الشريف حمود عن صيبا والدرب ويمنح للإمام سمود ، ودفع خراج سنوي عن الموانئ البينية ، وأن يكف السموذيون عن حربه وذلك عام ١٢٢٦ هـ .

وبذلك هدأت الأحوال في المنطقة وأصبح الوضع السياسي في تهامة كما يلي :

١- من صيبا وشمالا تتبع الإمام سمود ويؤب عنه أمير عسير طامي بن شبيب .

٢- من ضد وجوبا بنا في ذلك جيزان تتبع الشريف حمود أبو مسنار .

وقعت الحرب بين إمام نجد سمود وإمام صنعاء أحمد بن المنصور ، فاستغل الشريف حمود الفرصة ودخل المدينة وبيت الفقيه وزيد وضجها إلى ملكه ، بعد أن اتزعتها من أملاك إمام صنعاء ، ولما كان حمود يرسل الخراج وأخماس الخائمس إلى الدرعية طلب الإمام سمود أن يرسل من قبله عمالا لتحصيلها مع ما يأتي من الموانئ فسادرت الشكوك نفس حمود واعتقد أن سموداً يريد التدخل في شؤونته ، فلما وصل المصريون إلى الحجاز بدأ يكاتبهم ، ويعرضهم على حرب الدرعية ويعدهم بالطاعة والنصر ، فملت الدرعية بذلك فأرسلت إليه تهدهد ، فحرب حمود

- ١٥٩ -

رؤوس الرسل الذين جاؤوا إليه وعزل العلماء السعوديين في بلاده، وصرح لهم بالمصادرة، ولا زال محارباً لهم حتى مات عام ١٢٣٣ هـ، ولعل جرأته هذه جاءت لاعتقاده أن السعوديين لن تقوم لهم قائمة بعد وصول المصريين إلى المنطقة.

وفي أثناء هذه الأحداث شن محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية هجوماً كاسحاً على الدولة السعودية عام ١٢٣٦ هـ، إذ أرسل قوة زلت في ميناء ينبع بقيادة ابنه الشاب طوسون، وتقدمت هذه الحملة نحو الداخل، فهزمت أمام القوات السعودية بإمرة عبد الله بن سعود... وتراجع طوسون إلى ينبع يطلب من أبيه النجدة فأمدته بحملة كبيرة استطاع بعدها أن يتقدم نحو الداخل وأن يحتل المدينة المنورة بعد حصار دام شهرين وعشرة أيام، وبعد هذا الانتصار، مال شريف مكة غالب بن مساعد إلى طوسون فدخل جدة ومكة المكرمة عام ١٢٣٨ هـ، ثم أتجه إلى الطائف واحتلها، وخرج منها أميرها عثمان المشافيني ملتجئاً بالقوات السعودية، وعند دخول القوات المصرية الطائف بإمرة الشريف غالب انضم إليها معظم القبائل حتى غامد وزهران.

هاجمت القوات السعودية القوات المصرية واتصرت عليها وتقدمت نحو الطائف بقيادة عثمان المشافيني الذي استطاع أن يحتل بعض أجزاء الطائف إلا أنه أسر قسيس عليه غالب بن مساعد، أرسله إلى تركيا حيث لقي مصرعه.

أمام هذا التقدم الذي أحرزته جيوش محمد علي، جاء هو

بنفسه فوصل جدة، ومنها انتقل إلى مكة وكان في استقباله الشريف غالب بن مساعد، ولكن حدث ما لم يتوقع فخرج كل المساعدات التي قدمها الشريف غالب إلى المصريين بقيادة لجيوشهم واستقبله لمحمد علي، فقد قبض عليه محمد علي وأرسله مع أولاده أسارى إلى مصر، ونصب مكانه شرفاً على مكة ابن أخيه يحيى بن سرور. ومن مصر أرسل غالب إلى تركيا حيث بقي محتجزاً هناك حتى وافته أجله عام ١٢٣١ هـ متكرراً برفض الطاعون، وبجس محمد علي باشا في مكة بصدور الأوامر إلى جيوشه المتددة.

طلب من الجيش الأول في المدينة الزحف نحو نجد، وأمر جيشه الثاني في جنوبي الطائف بالتحرك نحو تروا وأعطى التعليمات لجيشه الثالث في تهامة أن يسير نحو القنفذة ليحتلها بمساعدة الأسطول في البحر الأحمر، ليؤدب قبائل عسير وزيحمها طيحي ابن شعيب لمناصرتهم السعودية هذا من جهة ومن جهة ثانية ليشاغبهم عن مساعدة القوات السعودية جنوبي الطائف. وفي عام ١٢٣٩ هـ توفي أمير الدرعية سعود بن عبد العزيز مما زاد النشاط لدى القوات المصرية، ففي تهامة احتل الجيش المصري القنفذة عام ١٢٣٠ هـ ولكن بعد شهرين أثار عليهم طامي ابن شعيب بأهل عسير، فهزمهم هزيمة منكرة، ولذا من سلب منهم بالسفن، وانسحب الجيش إلى جدة، وغنم طامي بن شعيب المعاصر والذخيرة كلها إضافة إلى الخيل ووسائل النقل آنذاك والخيام. وكرر محمد علي المحاولة واحتلت جنوده القنفذة.

١٦١ - (دائرة المعارف - الكويت للدراسة)

- ١٦٠ -

www.asirnet.net

وعاد إليها طامي، وتكررت هزيمته على صورة أكبر من الأولى، وعند ذلك عدل محمد علي في خطته، ورأى أن الطريق إلى عسير إنما هو طريق السراة لا طريق تهامة.

أسرع طامي بن شعيب للقاء جنود محمد علي المتقدمة من الطائف وتقابل الطرفان في وادي تربة، وجرت معركة حامية، واتصرت أهل عسير، وارتد المصريون إلى الطائف، وجاءت إمدادات من الإمام في الدرعية عبد الله بن سعود لموازية أهل عسير، واضطهدت قوات نجد بإمرة تركي بن سعود مع القوات المصرية في جنوبي الطائف، وهزمت القوات السعودية عام ١٢٣١ هـ.

تقدم محمد علي على رأس حملة، فاحتل تربة ودرائية ثم يشة، واستقر في خبيس مشيت بعد أن لقي مآلتي من التنب والإغواء والعزائم في بعض المواقع ولكنه كان يتصل ويتكبد، ومن خبيس مشيت من بلاد شهران تقدم إلى عسير عبر بلاد بني مالك، وسقطت بلدة طيب مركز حكم طامي بن شعيب ١٢٣١ هـ ونجسا طامي من المعركة وتحصن في جبل تهليل ولكنه هزم أيضاً فسار متحذراً نحو تهامة، وفي وادي يش اتصل بصديقه الشيخ يحيى ابن محسن النعمي، واستشاره في التدوم على الشريف حمود، فأشار عليه ألا يضل لما بينهما من عدا سابق، وإنما يعتصم بالجبالة، ولكنه أصر على اتصاله بحمود... وسار نحو بلاده.

وعندما وصل خير هزيمة عسير أمام جند محمد علي أسرع حسن بن خالد وزير الشريف حمود واحتل صبيا وطراد العامية المصرية منها، وأرسل سرية تقشش عن طامي بن شعيب، فالتقت به

في طريقه إلى صبيا مع صديقه النعمي، فأمرته وقادته إلى صبيا، وولسه حسن بن خالد إلى محمد علي تقرراً، فأرسل مقبلاً إلى مصر مع محمد علي، ومن هناك بعث إلى استانبول فشر به في الأسواق ثم شربت عقده عام ١٢٣٣ هـ.

غادر محمد علي عسير بعد أن ترك فيها حامية كبيرة، وخضعت له أسياً، وسار إلى مكة، ومنها أتجه إلى المدينة، ولم يطل المكوث فيها حيث وصل إليه خبر مفاده اندلاع ثورة في القاهرة ضده، وبأمر فرار نابليون بونابرت من مناهة في جزيرة إلبا، فأراد العودة إلى مصر، ولكنه كان يخشى إلى عودته انقراض أهل البلاد على جند، ولكن لا بد من السفر، فدخل على تكين الوضع ودعمه، وعاد إلى مكة المكرمة، ومنها رجع إلى عسير، فلبدة محالين عن طريق عقبة شمار، فالتفتة ومنها إلى مصر، وفي كل هذا كان يرافقه أمير عسير طامي بن شعيب مكيلاً بالحديد.

أما جهة المدينة المنورة فقد استطاع طوسون بن محمد علي أن يصل إلى بلدة الرس في نجد، وأن يعقد هناك اتفاقاً مع السعوديين..... ويعد إلى المدينة ولما أخير والده بالصلح وكان قد وصل إلى مصر طلب منه العودة إلى القاهرة، فنفذ الأمر، ولكنه لم يلبث أن مات هناك بعد أشهر قليلة.

تقش محمد علي عهد ابنه طوسون فأرسل حملة جديدة بقيادة ابنه الآخر إبراهيم عام ١٢٣١ هـ واستطاع بعد عامين أن يدخل الدرعية ويهدمها ويقضي على الدولة السعودية الأولى.

- ١٦٢ -

www.asirnet.net

ولما تم لمحمد علي باشا والي مصر احتلال عسير - كسا رأينا - بعد معارك دامية ومقاومة شديدة، تركزت قوته في طيب، وعاد بعدها إلى الحجاز، وكان قد لجأ بعض زعماء عسير إلى أطوارها الغربية، واعتصموا فيها، ومنهم محمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجتل مع من انضم إليهم من بني مفيد، وعلمكم وبعض ربيعة ورفيدة، وبني زيد، وبني قبس من رجال ألمع بعد هزيمتهم في الباحة.

علم هؤلاء المعتصمون بمودة محمد علي باشا إلى الحجاز فخرجوا من مناهم، وانقضوا على الحامية المصرية في طيب فقتلوا من قدروا عليه ومن نجا منهم فر إلى الحجاز..... وسيطر زعماء عسير على أمور بلادهم.....

سار محمد بن أحمد المتحمي إلى أبي عريش لينتقم لابن عمه طامي، وتقدم نحو درب بني شمة فالتقى هناك بقوات الشريف حمود بقيادة وزيره حسن بن خالد، فهزم أهل عسير في ١٧ رجب عام ١٢٣١ هـ.

آل المتحمي
أبو نقطة

عامر	شعيب	أحمد
محمد عبد الوهاب	طامي	محمد
١٢١٥ - ١٢١٨	١٢٢٥ - ١٢٢١	١٢٢١ - ١٢٢٢

- ١٦٢ -

www.asirnet.net

لم يكده محمد علي باشا بنتهي من أمر عسير حتى وصلت فنول حاميته التي تركها في طيب إلى الحجاز، فأثار ذلك غضبه... وأمر بإرسال قوة كبيرة إلى عسير تؤدب قبائلها وتنقم من زعمائها وذلك في أواخر عام ١٢٣٣ هـ.

سارت قوة محمد علي من الحجاز وقد شبت في صفوفها تركا ومصريين وحجازيين، تحرك حسني باشا عن طريق بلاد غامد وزهران وانطلق نحو عسير. وسار الشريف محمد بن عوف عن طريق يشة وبلاد شهران باتجاه عسير وتوجه جمعة باشا من أنساحل صوب عسير عن طريق محالين، ووصلت أصداء هذه الحملات إلى عسير فاستمد رجال التهايل وتصعدوا لها على حدود بلاد رجال الحجر وبلاد ألمع، وكانت بين الفريقين معارك طاحنة هزمت على أئرها عسير، وتراجعت بعد أن أمتخت في جيش حسني باشا قتلاً في موقعتي «مسفرة» و«الضن» وقد استبسل فيها الطرفان.

دخل محمد بن عون إليها وتمركز فيها بعد أن احتل بلاد شهران وبني مالك، وزحف جمعة باشا إلى بلاد ربيعة ورفيدة، وكان جيش حسني باشا قد لاحق أهل عسير حتى «السقا» حيث اعتصموا فيها، ومنها لجؤوا إلى الأطوار الغربية بعد معركة كادت تأتي على الطرفين في موقعتين جرتا شمالي السقا في السوق والصعيد.

- ١٦٥ -

تداول زعماء عسير الرأي في الوسيلة التي يتسكنون فيها من مرد الأتراك وإخراجهم من مواطنهم فقرروا المقاومة واستنغار القبائل جميعها من سرائرها ونهاتها ، كما رأوا الاستعانة بالشريف حمود أبي مسار خوفاً من أن ينضم إلى الأتراك ويكون حرباً على عسير مستغلاً الظروف وراكباً طريق مصلحته ، خائفاً من أن يسيل إليه هجوم الترك بعد أن أصبحوا يسيطرون على السراة ، وأصبحوا على حدود منطقة نفوذهم ، فقبل أن يسير إليه الترك ينضم إليهم ويعددهم من الهجوم عليه ورأى زعماء عسير أن الاستعانة بالشريف حمود لإضعاف قوته وإنهاء للترك في وقت واحد إذا في اشتباك الطرفين مع بعضهم بعضاً مصلحة لأهل عسير الذين يحاربون الترك ، ويواجهون الشريف حمود ذالوقائع بينهما لاتكاد تتوقف عندما يتفرعان في الميدان . إذ أنه رجل طموح لا يقيف به الأمل عند حد ، وكانوا على علم أنه ليس من السهولة إقناعه بالنجدة لعسير وليس من اليسر تلبية طلب المدد بسرعة فهو من الذكاء لدرجة لا تخفى عليه سياسة ولا تنظري عليه حيلة ، ولا تصلحه مرادفة ، ومع ذلك أرسلوا إليه حامداً بن أحمد ابن علي بن مبارك بن سليمان وأحمد بن يحيى أبو زوعة شيوخ قبيلة علك لحادثته وطلب النجدة منه .

قلب الشريف حمود الأمر فرأى أن يرسل وزيره حسن بن خالد الحازمي على رأس قوة من تامة خوفاً من مغبة الأمر وتفاقمه إذ وجد أن ترك الفرصة صعب وقد وافته الظروف وجاءه وجهاء

- ١٦٦ -

www.asirnet.net

شعر العسيريون في هذا الوقت بتدبرهم على الصمود وأنسوا في أنفسهم إمكانية المقاومة كما أنهم خافوا من قوت جيش أبي عريش فرغبوا بالبيعة به ، وأحس قائده حسن بن خالد بتلك الرغبة وألاحظ بوادر الشر فكتب إلى أميره الشريف حمود يستحثه بسرعة التقدم إليه بقوة تستكفه من اتخاذ الموقف وتزير قوته في السراة لإمكانية السيطرة ، ولم يجد الشريف حمود بهذا من تلبية طلب وزيره فسار على رأس قوة كبيرة وارتقى السراة عن طريق عقبة ضلع ولم ينته أهل عسير إلا وقد تركز في أها .. وكان هذا الخروج متفقاً مع وصول القوة التركية .

رأى العسيريون أن تصطدم القوتان قوة الترك وقوة الشريف حمود وأنها انتصرت أصحابها الضعف من القتال واهتكت قواها الماركة وبقيت أدنى من قوة عسير وفضلوا القتال بجانب الشريف حمود لدفعهم إياه وشدة الترك وحملاتهم المتكررة ... فأظهروا للشريف حمود خلاف ما يظنرون وأخفوا عنه ما يبيتون إذ أن من المصلحة تأخير الصدام معه مادام هناك عدو مشترك .

سار الأمير سعيد بن مسلط وحامد بن سليمان بني متيسد وعلمك إلى الشرف لصد هجوم جمعة باشا وتوجه محمد بن أحمد المتحني بشاقل رئيسة ورفيدة وبني مالك إلى الطلعة وشارع والملاحه لصد هجوم سنان آغا ورابطت بقية القبائل في طيب ...

- ١٦٨ -

www.asirnet.net

مسلم بعض رجاله فقتلوه سرّاً يوم الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ في قرية الملاحة من قرى بني مالك إحدى قبائل عسير ودفن هناك . أحس الوزير حسن بن خالد بالخطر يحدق به وبجندته بعد موت أميره وأدرك صعوبة الموقف ، وعلم أن زعماء عسير لم يطلبوا النجدة من الشريف حمود إلا لإيقاعه في الشرك وقطع مسلكه بالترك خوفاً من أية صلة تقوم بينهما ثم الواقعة به وبقوته وقد استطاعوا قتله

لجأ حسن بن خالد إلى الحيلة فأبدي أنه على خلاف مع أميره الجديد الشريف أحمد بن الشريف حمود الذي تولى الإمارة مكان أبيه ، وذلك بعد الاتفاق معه ، وطلب منه أن يهدي ما أبدى هو ... وهذا ما هيأ الفرصة للشريف أحمد أن ينسحب برجال نهامة الذي كانوا مع أبيه نحو مدينة أبي عريش مفر حركه ومركز نفوذه إلا أنه وهو على مشارف المنطقة فوجيء بكين نصبه له ابن عمه الأمير علي بن حيدر ، فالقي القبض عليه ، وتفرقت قوته ، وعاد أكثرها إلى عسير ، أما هو فقد اقتيد إلى أبي عريش حيث شتر به ، ثم نفي إلى مصر حيث كان مثواه الأخير ...

أثرت هذه الصدمة على نفس الوزير حسن بن خالد وزادت موقفه حرجاً فوق حرج فالعسيريون يريدون الواقعة به : وإيسو عريش منطقة نفوذهم تعاديه وقد ألت القبض على أميره وفتته ، وهي في يد خصمه ، والترك في حرب معه ، ويحاولون القضاء عليه فضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم تعد تجدي معه سوى السياسة

- ١٧٠ -

www.asirnet.net

عسير يطلبونه وهو الذي يحلم في حكم عسير ، كما أن السرعة أمر فيه من الخيل الشيء الكثير (الو نستطيع أن نقول : إن لما به قد سال لحكم عسير وهو الذي يطبع به منذ زمن وهذا ماجمله إيجابياً إلى حد أرسل وزيره وطلب منه أن يكون يتقلاً وأن يوافق به جريبات الأمور تبعاً حدثاً وراء حدث .

اشمأن حسني باشا على الأمور في عسير إذ رأى الهدوء مخيباً أو هكذا بدا له إذا كان الأول الأمر في مرحلة التهيئة أو أنه لثمان نفسه ليتعد عن هذا الجو ، فماد إلى الحجاز ومعه جمعة باشا ، وقد تركا حامية في طيب ولكنهما ما أن غادر عسير وعلم بسيرهما سعيد بن مسلط ومحمد بن أحمد التحنسي حتى اقتضا ومن مهمما على حامية طيب ففكروا بها وتركزوا مكائها ، وشاع الخبر ووصل النبا إلى محمد علي باشا فأمر بتسيير حملة على رأسها جمعة باشا فلبى الأمر وسار ومعه الأميران منصور بن ناصر آل الخيرات وابن عمه علي بن حيدر المنافين لهما الشريف حمود والمنازين له السلطة ، إلا أن هذه الحملة لم تكد تصل إلى مشارف بلاد رجال المم حتى تصدت لها قبائل نهامة ورجال المم بقيادة حسن بن خالد فهزمتها وعادت ظلولها إلى الحجاز ، فارتقت بذلك منويات جيش الحازمي ، وعز ذلك على والي الحجاز قارسل جيشين أحدهما عن طريق الساحل ويقوده جمعة باشا والآخر عن طريق السراة بقيادة سنان آغا .

- ١٦٧ -

تقدم جمعة باشا إلى محال ومن هناك أرسل حملة بقيادة علي بن حيدر الخيراتي لاحتلال أبي عريش ليضرب أميرها إلى الانسحاب من وجه جمعة باشا ، ويوقعه في مأزق حرج أرسل الأمير علي بن حيدر عينا أمامه لاستطلاع الأمور ومعرفة الأخبار وأوضاع القوت ولم يلبث أن عاد إليه يحمل خبر ارتقاء عه الشريف حمود السراة وعدم بقائه سوى قوة قليلة في أبي عريش فأسرع واحتل المدينة ... في حين توجه جمعة باشا إلى السراة .. ومن جهة ثانية وأصل سنان آغا زحفه إلى أن احتل بلدة طيب بالرغم من المقاومة الشديدة التي لاقتها قوته إلا أن هذا الاحتلال قد قبل رد . فمل قوي عند قبائل عسير فتحتس للقتال والتفت حول الشريف حمود وحول زعمائها التحنسي وأبن مسلط وهجعت على طيب ، وكتب لها النصر ، وهزمت قوات سنان آغا وحاول النجاة بنفسه فسار ومعه الشريف منصور بن ناصر وعدد قليل من الجند فلاحقته حملة من بالأسمر في وادي تيبه وألقت القبض عليهم جميعاً وقتلتهم ، وهكذا خرج من الساحة سنان آغا والشريف منصور .

بعد هذا النصر وذهاب نشوته في عسير بدأ الحليفان بالأسر والمختلفان بالتخطيط والعمل ليقضي كل منهما على خصمه ، فقد أراد الشريف حمود أن يتخلص من الأمراء محمد بن أحمد المتحني وسعيد بن مسلط وعلي بن مجمل ، وقد أدرك هؤلاء الثلاثة نواياه فأرادوا أن يتخلصوا منه قبل أن يشك بهم ، فأرسل إليه سعيد بن

- ١٦٩ -

فرأى من الخير له كل الخير أن يدهن أمراء عسير ، ويتودد إليهم ويلين لهم ولو كان في ذلك شيء من الذلة ويبقى مهمهم في حرب خصومهم

في هذا الوقت كان إبراهيم باشا ولد محمد علي باشا والسب مصر قد استطاع دخول الدرعية وتدميرها وذلك في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣ هـ (٩ أيلول ١٨١٨) وقضى على الدولة السعودية ونشرغ بعدها الترك والمصريون ومن الأهم من قبائل الحجاز إلى عسير فسارت قوة كبيرة على رأسها خليل باشا والشريف محمد بن عون وسليمان سنجق

سار خليل باشا عن طريق السراة وتبعته قبائل غامد وهران ومعظم قبائل رجال الحجر وقد استطاع الوصول إلى شمار . واتجه الشريف محمد بن عون عن طريق بيشة وبلاذ شهران حيث انضمت إليه قبائل بيشة وشهران وقحطان . وخرج سليمان سنجق من التنفذة إلى بلاد رجال المم فدرب بني شعبة وقد انضمت إليه قبائل نهامة ، وقد أرغهم على هذا الانضمام ، فخرج الأمير علي بن حيدر من جهته أيضاً ، فلم يكن للقبائل إلا إظهار الخضوع وإبداء الرغبة في المشاركة بالحملة على عسير .

أخافت هذه الجوع أهل عسير إلا أنه لابد من المقاومة ومن سلك الطريق الصعب لابد من انمام السير فيها تكو تروا ثلاث جهات دفاعية

- ١٧١ -

أولاه بقيادة سعيد بن مسلط ومعه حسن بن خالد لمواجهة الشريف محمد بن عون في بلاد شهران .
وثانيهما بإمرة محمد بن أحمد المتحمي وقد تركزت في الملاحة لحماية خليل باشا .

أما الثالثة فقد رابطة في أيها تحت إشراف علي بن مجتل واقتربت بعض القسوات من بعض ، واشتكت في حرب ضروس بقيت سجلاً مدة عشرة أيام ، ثم تمكن خليل باشا من دحر الأمير محمد بن أحمد المتحمي وإلقاء القبض عليه وعلى بعض أفراد أسرته ثم والى خليل باشا زحفه حيث تركز في طب ومنيا انتقل إلى السقا حيث كانت الماركة هناك حامية الوطيس بين علي بن مجتل وسليمان سنجر فمز خليل باشا قوة الانسراك بعد أن كانت الهزيمة تلحق بهم فاضطر علي بن مجتل إلى الانسحاب إلى أيها حيث اعتصم فيها وتابع الترك زحفهم نحو أيها فالتقوا الحصار عليها وبدأ الوهن يدخل إلى نفوس القسوات داخل أيها وأصبح كل منهم يريد أن يجد لنفسه طريقاً للخلاص . أو ملجأً للنجاة ، ليلوذ بالفرار ، وهذا ما اضطر علي بن مجتل للاستسلام .

أما على الجهة الثالثة فقد كتب النصر في بداية الأمر للأمير سعيد بن مسلط على الشريف محمد بن عون في معركة جرت بين الطرفين قرب أطال جري إلا أن وصول الأبناء إلى الجند المسميري بدا حل في بقية الجهات جعل النفوس تضفف والمعنويات تنهار وكل يفكر بما حل بالأهل والأوطان ، وبخاصة بعد مقتل القائد

- ١٧٢ -

www.asirnet.net

المعنويات ، وزيادة الامكانات ، وقد جاءت وفود القبائل مملعة الطاعة وميلية الاذعان وذلك في مطلع عام ١٢٣٦ هـ .

أمام هذا الذي حدث في عسير أسرع جيش من الحجاز بإمرة الوالي أحمد باشا والشريف محمد بن عون ومعهما دوسري ابن عبد الوهاب المتحمي ، إلا أن هذا الجيش لم يكده يصل إلى مشارف عسير حتى جابهه الأمير سعيد بن مسلط بقوة تكافئه فاتصرت عليه وأجبرته على العودة إلى الحجاز بغير واداء ذبول الخيبة والذل وكان من نتيجة ذلك أن ضم الأمير سعيد إلى بلاد رجال الحجر .

أعاد أحمد باشا الكرة فأرسل حملة كبيرة وأوكل بإمرتها إلى الشريف محمد بن عون ومعه أخواه راجع وهزاع ، فسارت الحملة عن طريق بلاد غامد وزهران حتى وصلت إلى حدود بلاد رجال الحجر فإذا بالأمير سعيد على رأس قوته يقف لهم بالمرصاد إلا أن كثافة جيش ابن عون قد تغلبت على شجاعة ابن مسلط فقدرته ووالت زحفها إلى طب بقيادة هزاع وراجع ومعهما دوسري بن عبد الوهاب هزموا علي بن مجتل قائد حامية طب التي كانت مقرراً لإمدادات أخيه ابن مسلط .

دخل الشريف محمد بن عون عسير واعتصم سعيد بن مسلط وأخوه لأمه علي بن مجتل بالأطوار ، وبايعت قبائل عسير ابن عون على مفض . وتوسط الأمير إبراهيم بن عبد الله بن عبد المتعالي أمير بني قيس من رجال المبح بين محمد بن عون وسعيد بن مسلط

- ١٧٤ -

www.asirnet.net

الشريف محمد بن عون ومعه أخوه راجع ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي فتجبتهم قوة الأمير سعيد فأدركت الشريف راجع ابن عون بالقرب من وادي (الجنفور) فقتله ونجا كل من محمد بن عون ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي ، وسار الأول إلى الحجاز على حين اتجه الثاني نحو نجد .

وبرز سعيد بن مسلط بين وجهاء عسير وعرف بشجاعته واستبساله في القتال ، وقياموا به .

- ١٧٦ -

www.asirnet.net

حسن بن خالد في كمين نصب له في بلاد شهران يوم الخميس ٢٣ شعبان ١٢٣٤ هـ فأقلب النصر هزيمة وغدا الفرار غنية ورجع الأمير سعيد ومن بقي معه إلى الأطوار وأصبح أنه مات مع حسن ابن خالد .

دخلت قبائل عسير في طاعة خليل باشا على مضض في النفوس وكره في القلوب ، وبقي الأمير محمد بن أحمد المتحمي مع ولده مداوي إلى مصر وبعض أقباليه ، وتفرقت القوات التركية بعد ذلك وظلت أن الأمر قد انتهى ، فبعثها عاد إلى الحجاز مع خليل باشا الذي أخذ اليهود والمواثيق من أهل عسير وبقائها بالموالاة للدولة العثمانية ، وبعضها سار إلى اليمن ، واتجه قسم ثالث إلى أبي عريش ، وبقية حامية في طب ، وذلك في مطلع عام ١٢٣٥ هـ .

أما الخلاف السيلاني فقد تولى أمره علي بن حيدر الموالي لقوات محمد علي ، والذي قاتل معها وذلك بعد اللقاء القبض على ابن عمه أحمد بن حيدر ونفيه إلى مصر .

لم يرض شهر علي مغادرة خليل باشا لعسير حتى خرج الأمير سعيد بن مسلط من ملجئه بالأطوار مع من انضم إليه من بني مغير وعلمك وبعض قبائل عسير الأخرى واقتض على حامية طب التركية فاعتصمت داخل البلدة فالتق عليها الحصار فاستسلمت لحكمه فسلها وأطلق سراحها ، وشمر بعد هذا بارتضاع

- ١٧٢ -

وتم الصلح بينهما وعفا ابن عون عن ابن مسلط ومن معه ترك ابن عون حامية في طب بإمرة أخيه هزاع ومعه دوسري ابن عبد الوهاب المتحمي وتوجه هو إلى بلاد شهران في طريقه إلى بلاد وادي الدواسر ... واستنفر قبائل عسير للقتال معه في وادي الدواسر ، ومكث في بلاد فاهي ينتظر قدوم قبائل عسير . إلا أن سعيد بن مسلط قد تأخر عليه بن معه من جند بني مغير وعلمك ، فاتجه الشريف وقسا عليه في التأيب أمام الجميع فأثارت فائرة سعيد بن مسلط ومن معه فانتظر حتى تحرك الشريف محمد ابن عون بجنده فترجع هو بقوته من عسير مسرعاً ، والتقى في طريقه بالأمير إبراهيم بن عبد الله بن عبد المتعالي في الجمعية وأخبره بما فعله الشريف محمد بن عون معه فتأثر ومن معه جداً رساءهم ما فعله في حق أميرهم فيأيموه على قتال محمد بن عون والترك .

توجه الأمير سعيد بمن معه مباشرة إلى طب وهجم على حاميتها وأحرق مركز الحكم فيها . وقتل هزاع بن عون وأباد الحامية ، وكلف من يقوم بتدمير القصور التي يتعصم فيها الترك ، وسار مسرعاً للقاء ابن عون .

ولما وصل الخبر إلى الشريف محمد بن عون قتل راجعاً إلى عسير وقتل وصوله إليها التي بالأمير سعيد في وادي عتود فجرت بين الطرفين معركة طاحنة لم تشهد عسير مثلاً وانهمز

- ١٧٥ -

الفصل الرابع الاستقلال

التفت قبائل عسير - سراً ونهامة - حول الأمير سعيد بن مسلط وكذا قبائل رجال الحجر وقطعان وشهران وبايعته بالإمارة لما لاسلافه من السلطة والنفوذ على هذه المنطقة في الماضي والحاضر ، فهو من أسرة آل يزيد الأموية التي كانت تتولى إمرة المنطقة على مدار تاريخها تقريباً سوى فترات قصيرة يعصف بها روح الخلاف بين أفرادها على الإمارة والزعامة ، أو تصل قوة كبيرة من خارج المنطقة تنبذ الأسرة عن مركزها ولكن لا يلبث أن يعود الأمر إليها ، وتسلم المقاليد بزوال السبب ، ولما يستمع به شخصياً من منزلة رفيعة بين رجالات القبائل وسراة القوم .

وعندما انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب في المنطقة وصل لها محمد بن عامر أبو نضلة وأخوه عبد الوهاب كانت الإمارة - كما ذكرنا - بيد محمد بن أحمد من آل يزيد فوق في وجه الدعوة فكان أن قتل ، بينما وقف أبناء عمومتهم سعيد بن مسلط وعلي بن مجتل مع الدعوة وأيدوها وعملوا لها ، وكان موضع ثقة ودين .

- ١٧٧ - (وزارة المعارف - الكتبات العربية)

ولما كانت الإمارة في عسر تمتد وتقوم على الدين، لأن أهلها أهل صلاح وتقوى بشكل عام، فإن الأمير يجب أن يتجلى بهذا وتصف بالاستقامة، وسعيد من هؤلاء الرجال، إضافة إلى أنه من الأبطال الأفاضل عرف بالنجاعة واشتهر بالبسالة وامتياز بالدين واتفق بالاستقامة فجدير به أن يسلم الإمارة وحري بأهل عسر أن يقدموه على أنفسهم وينصبوه أميراً ويلتقوا حوله.

أرسل الأمير سعيد بن مسلق أخاه علي بن مجتل على رأس قوة إلى بلاد سنحان ووادعة، فأدخلها في طاعة الأمير سعيد. ووجه ابن خاله الأمير يحيى بن مرعي بقوة إلى بيشة، فأدخلها في طاعة عسر.

وسار بنقشه على رأس قوة فدخل بلاد غامد وزهران. وأصبح الأمير سعيد بن مسلق سيد هذه البلاد كلها. وهكذا انتقل الحكم في عسر من آل المتحفي إلى آل يزيد، وانتقل المركز من طيب إلى السقا، وكانت عسر مرتبطة بالدرعية فأصبحت مستقلة ينتقل الحكم بين أبنائها حسب وصية الأمير القائم بالأمر، ورأي أهل الحل والعقد في البلاد، حيث كانت الدولة السعودية في غياب عن مسرح التاريخ لما أصابها بعد دخول إبراهيم باشا الدرعية. ولكن هناك صلات نسب بين آل المتحفي وآل يزيد. قام عاكف بن مرعي هي عاتكة بنت عامر بن أحمد المتحفي. وكذلك أم أولاده عبدالله ويحيى وأحمد هي غامبة بنت محمد بن أحمد المتحفي، ولا غرابة في ذلك فالأمر

المرموقة تزواج فيما بينها، بل ويحرص الأبناء على زواج إبناتهم من بنات يمتثلون أمهن كغف لهم.

وتوالى الأخبار بانتصار الأمير سعيد بن مسلق على الشريف محمد بن عون ثم استقلال عسر وانضمام المناطق إليه منقطعة بعد أخرى وزيادة نفوذ الأمير المسميري وتقلص النفوذ المصري والتركي فكان لهذا كله أثر سيء في نفس والي الحجاز أحمد باشا الذي خشي أن تطرق جحافل المسميرين أبواب الحرمين الشريفين، مما دفع أحمد باشا أن يمرض الأمر على الباب العالي، وبين له أهداف عسر، فجاء الرد بأن يتوجه بحملات قوسية إلى عسر ويحيط بها من كل جهة، ولعل الشريف محمد بن عون كان له اليد الطولى في شن هذه الحملات إذ كان يعرض والي الحجاز من قبل محمد علي وهو أحمد باشا وذلك لتبرير هزيمته، ولينتقم من الأمير سعيد، وحتى لا يتحمل مسؤولية الهزيمة وحده.

تقدمت قوات أحمد باشا ومعه الشريف محمد بن عون عن طريق تهامة، ووالى زحفها على الرغيم من مقاومة المسميرين واستبسالهم لدفعها عن بلادهم وردها من حيث أتت حتى التقت بقوات الأمير سعيد عند عقبة شعرا، فدهرتها واحتلت عسر، واعتصم الأمير سعيد بالأطوار، وبقي أحمد باشا في عسر حتى نهاية جمادى الأولى ١٢٣٩ هـ ثم عاد إلى الحجاز، وقد ترك حامية في مدينة أبها إلا أن سعيد بن مسلق خرج من مقله بن معه وهاجم الطامية في أبها، واشتبكت معها في معركة تراجعت بعدها إلى

- ١٧٩ -

- ١٧٨ -

www.asirnet.net

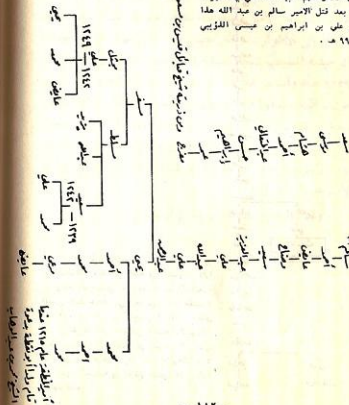
مقرها في المدينة واعتصمت فيها، فحضر عليها الحصار، ورغم ما أبدته من مقاومة إلا أنها استسلمت في النهاية، فأخلى سبيلها وسمح لها بالعودة إلى الحجاز. وأثناء عودتها التقت بقوة يقودها محمد بن عون فانضمت إليها وتآمرت زحفها نحو عسر حيث التقت مع الأمير سعيد عند عقبة شعرا، فخلعت الهزيمة بالأمير والتجأ إلى الأطوار، ودخل جيش محمد بن عون طيب وأبها إلا أن جيشه انسحب نتيجة الصلح الذي تم بين الطرفين في ٢٦ شعبان ١٢٣٩ هـ، واستمر هذا الصلح نهاية العام ثم تقهقروا محمد بن عون، إذ جاءت قواته عن طريق بلاد شهران، فالتقت بقوات الأمير سعيد وانتهت المعركة بهزيمة الشريف وانتصار المسميرين. ثم سادت فترة من الهدوء بين الطرفين، وفي مطلع عام ١٢٤٢ هـ توفي الأمير سعيد بن مسلق (يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول) وخلفه الأمير علي بن مجتل.

وقد أقام داراً للضيافة في بلدة (السنى).

- ١٨٠ -

www.asirnet.net

(١) يقول جعفر الخطفي: أن الأمير سالم بن عبدالله استقدم جنداً موسي بن عثمان بن مجتل بن موسى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى بن مجتل بن عبد الله العمري، وولاهه سعيد واحد الملك المنصور منهم البيت الخطفي في عسير، وذلك بعد نقل الأمير سالم بن عبد الله هذا الأمير علي بن إبراهيم بن موسى المؤنسي عام ١٢١٨ هـ.



- ١٨٢ -

www.asirnet.net

علي بن مجتل ١٢٤٢ - ١٢٤٩ هـ

تولى علي بن مجتل أمر عسر بعد وفاة ابن عمه سعيد بن مسلق، وهو أخوه لأمه عاتكة أخت مرعي بن محمد، وكان على منزلة رفيعة من الدين والورع، فكان يقدر العلماء الذين ساعدوه في فصل الخلافات بين الناس، وكانت مدة إمارته غرة في تاريخ عسر، إذ استطاع أن يحورها من السيطرة التركية، وساعده على ذلك الخلافات التي نشأت بين أشراف مكة، وانشغال محمد علي في حروبه التي شنها ضد الدولة العثمانية، وحلته السياسية، وتجاريه الكثيرة إذ لعب دوراً بارزاً في تاريخ عسر السياسي والعسكري قبل تسلمه الأمر أيام أخيه سعيد وأيام إمارة آل المتحفي، وكانت تلك الأيام مليئة بالحروب والمعارك التي ما تكاد تنتهي حتى تبدأ، وعلي بن مجتل ينتقل من قيادة جيش إلى آخر، ومن المراقبة في مكان إلى مكان في آخر.

بعد أن سيطر محمد علي باشا والي مصر على الجزيرة العربية قامت الحركات في وجهه، فقد ثار عليه شريف مكة يحيى بن سرور عام ١٢٤٤ هـ، فاستصرم محمد علي مرسوماً بزل الشريف يحيى وتعين محمد بن عون مكانه شريفاً على مكة.

دخل محمد علي حراً ضد الدولة العثمانية عام ١٢٤٧ هـ،

- ١٨٣ -

وتقدمت جيوشه في بلاد الشام ، وانهز سكان الحجاز القرصة وأعلنوا الثورة عليه ، وقد أرسل محمد علي حملة إلى الحجاز انتصرت على الوالي الشامي الجديد « تركشه ييليز » أي: الذي لا يعرف التركية .

وقام علي بن مجتل بأعمال حربية فجعلها بنا يلي :

غزا عام ١٢٤٢ هـ وادي بيش والقبائل المتقية فيه من بني عيس لأنها تترددت على حكمه ، فوطد الأمن في تلك الديار وعاد إلى مقره .

غزا عام ١٢٤٣ هـ أمير أبي عريش الذي دخل صبيبا وطرد الحماية المسيرية منها ، فقاد صبيبا إلى منطقة نفوذه ، وحاصر مدينة أبي عريش ، ثم وقع صلحا مع أميرها ، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه .

وفي العام نفسه دخلت قبائل يام في الطاعة إذ أقبل مانع أبو ساق أحد مشايخ تلك القبائل ومعه ابن منيف وابن نصيب من مشايخ تلك القبائل أيضا وأعلنوا الطاعة والبيعة لعل في مجتل ، فأمر عليهم محمد بن زابن . كما أنه في العام نفسه تترددت قبائل بني مرة وعات في الأرض فسادا فأرسل إليها محمد بن زابن ومات أبو ساق ، فاتصرا عليها وخسرت الكثير من أموالها بعد معركة حامية حرت بين الطرفين .

أغار عام ١٢٤٥ هـ على قبيلة وادعة ، وأعادها إلى الطاعة .

- ١٨٤ -

www.asirnet.net

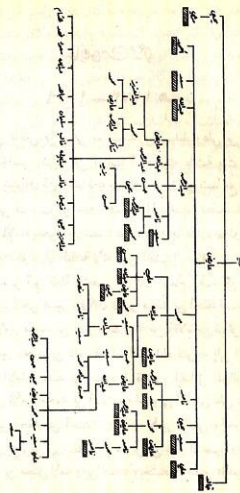
وقد قال فيه أحد مؤرخيه « كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر اتصال آل سعود بالبلاد ، وكان متشبها بدعوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شديد الخرس عليها والتمسك بها وحمل الناس عليها ، وكان مع ذلك على شيء من الدهاء وحصانة الرأي ، جمع حوله العلماء وأرباب النفوذ في عسير ، وأقنع عليهم العلماء والصلاوات ، ولأسلافه الخفايا القدح الممل في إمارته ، فقد كان منهم الدعاة والوعاظ ومنهم القضاة ، فأشبهوا في ذلك آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجانب آل سعود وعندما اشتد به المرض لم تحمله الماطلة على أن يجعل الحكم وراثيا . ولكنه جمع أهل الحل والعقد من عسير وأوصى بالامارة إلى عاتق بن مرعي لما توسم فيه من الخصال التي تتوفر فيمن يصلح لتولي أمور المسلمين فيأبى الناس واجتمعوا على طاعته وكان ذلك في أواخر عام ١٢٤٩ هـ (١) » .

وقد أقام دارا للضيافة في مدينة أبها ، وكانت في حي (المتاحة) ، وبقيت آثارها حتى عهد قريب .

(١) مجلة العرب التي تصدر عن دار البعثة للبحث والترجمة والنشر ج ١١ و ١٢ السنة التاسعة .

- ١٨٦ -

www.asirnet.net



- ١٨٨ -

www.asirnet.net

وتقدم إلى جهات مور عام ١٢٤٧ هـ فحضر على أبيدي الماين وأقر السلام .

وهاجم عام ١٢٤٨ هـ أمير أبي عريش علي بن حيدر الذي قاتل حاميا عسير في وادي مور ، وقد جاءت مساعدات تركية إلى أمير أبي عريش فحاصر علي بن مجتل المدينة وإن لم يستطع أن يدخلها حربا فقد دخلها صلحا ، وتم الاتفاق بين الطرفين بحيث أصبح علي بن حيدر يحكم منطقة أبي عريش بالنيابة عن أمير عسير ، ورحلت الحماية التركية في أبي عريش إلى الحجاز .

واستطاع « تركشه ييليز » أن يفتح الجديدة ومنا وزيد من أرض تهامة باسم أمير عسير ، وكان نتيجة ذلك أن طلب سكان الجزر في البحر الأحمر الخضوع لأمير عسير ، والأخذ بالدعوة السلفية ، ومن هذه الجزر جزر دهلك القريبة من ساحل ارتيرية .

وأرسل محمد علي باشا والي مصر حملة عام ١٢٤٩ هـ للسيطرة على عسير وتهامة وإعادة نفوذه إليها إلا أن أهل هاتين المنطقتين قد وقفوا في وجهه ودحروا حملته .

استأثر « تركشه ييليز » بالمناطق التي فتحها وقام بأعمال غريبة ، فخاربه علي بن مجتل ، ودخل تلك المناطق عام ١٢٤٩ هـ ، وعندما عاد إلى السقا وافته المنية .

وقام بإصلاحات كثيرة كان منها حفر الآبار في الأماكن الضرورية ، ومنها بئر في وادي رملان بتهامة ولم تزل مورا عذبا لمن يرتاد تلك الأماكن من البادية .

- ١٨٥ -

عائق بن مرعي

١٢٤٩ - ١٢٧٣ هـ

يلتقي عائق بن مرعي مع سعيد بن مسلط وعلي بن مجتل في الجدة الخامس إضافة إلى كرهها أبناء عته عائقة بنت محمد وقد ولد تيسيا في ذي القعدة عام ١٢١٣ هـ وترى تيسيا مع أخويه خالد ويحيى في بيت ابن عمه محمد بن أحمد بن محمد الذي قتله جيش الإمام محمد بن سعود عام ١٢١٦ هـ عند دخوله جهات عسير لعدم دخوله في الطاعة لأنه ومن انضم إليه وقف في وجهه محمد بن عامر أبو نقطة المتحفي ، وكان الإمام محمد بن سعود قد جعله أميراً على عسير ، وكان الأمير محمد بن أحمد قد يت الإتياع بالأمير محمد بن عامر وحشد له من والاه من قبائل عسير إلا أن الأمير محمد بن عامر قد أدرك نوابه فتوجه إلى الدرعية وطلب من الإمام محمد بن سعود قوة تمزق القبائل الموالية له للقضاء على الأمير محمد بن أحمد ، واستولى الجيش على عسير ، وقتل الأمير محمد بن أحمد ، وانتقل الأمير عائق وأخوه إلى كفاة الأمير سعيد بن مسلط بن مسفر بن عبد الرحمن وهو أخ الأمير علي بن مجتل لأنه وابن عمه ، ويجتمعون مع عائق بن

- ١٨٧ -

مرعي في جدة الخامس ، وقد تولى الإمارة بالوصاية من علي بن مجتل (١) .

أما ما يقوله الربيعاني وحافظ وبيه من أن عائق بن مرعي كان راعيا ، فهذا لا يتقنع الواقع في شيء فهو أولا سليل الأمراء ، وتربى في كنف الإمارة ، وإضافة إلى هذا كان قائد جند مشهور فقد سار على رأس جيش لنجدة علي بن مجتل وهو في الخلاف السليماني يقاتل أمير أبي عريش ، ثم نرى أن أهل الحل والعقد يأمون عائقا قبل وفاة ابن مجتل وهل يبيع عليه القوم راعيا ؟ يقول الزركلي : « كان عائق في مبدأ أمره من أصحاب الإبل واشتهر بالشجاعة ، ولا وصلت الحملة المصرية إلى عسير عام ١٢٤٩ هـ استبسل في صداه ، وكانت الإمارة فيها لابن عمه علي بن مجتل فجعل له الإمارة من بعده وتوفي ابن مجتل في شوال من السنة نفسها » .

وقال النسي « كان عائق من أبيل رجال عسير ذكاء وشجاعة ، وبابه الميريون بالإمارة في شهر شوال ١٢٤٩ هـ على أثر وفاة ابن مجتل وبقي فيها حتى عام ١٢٧٣ هـ حيث توفي وخلفه ابنه محمد » .

وكان أول أمر واجه الأمير الجديد عائق به مرعي انتقاض أمير أبي عريش علي بن حيدر عليه فأرسل له وفدا لأخذ البيعة (١) المصدر السابق .

- ١٨٩ -

قنشل الوقت ، إذ أجاب علي بن حيدر أن العلاقة مع عسير قد انتهت بوفاة علي بن مجتل . فسار إليه عائض بن مرعي على رأس جيش قوي إلا أنه لم يستطع دخول أبي عريش على الرغم من وجود حامية عسيرة في إحدى قلاعها ، فاضطر إلى العودة إلى مقره بعد حصار طويل ، ثم انسحبت الحامية العسيرة من أبي عريش .

وفي شهر صفر عام ١٢٥٠ هـ توجه الترك إلى بلاد عسير بقوة كبيرة على رأسها شريف مكة محمد بن عون وكان مجيئهم عن طريق بيشة ، فخرج إليهم الأمير عائض بن مرعي ، والتقى الطرفان بمعركة حامية في وادي عتود من بلاد شهران ، فهزم أهل عسير ودخل الترك أبها وعسكر بمضهم في طيب ، إلا أن بقاعهم لم يطل إذ أعاد الأمير عائض عليهم الكرة وأخرجهم من بلاده .

وعقد محمد علي باشا حاكم مصر اتفاقاً بين إمام اليمن وشريف أبي عريش لقتال قبائل عسير المتردة على نفوذ المستعمرة على حكمه ، والمستمنة عليه حصونها ، والتي تؤيد الدولة السعودية . فوجد ذلك في منتصف عام ١٢٥٠ هـ .

وفي الأواخر عام ١٢٥٠ هـ شن الجميع هجوماً على عسير ، فقد جاؤوا من كل جهة ، جاًؤوا عن طريق بلاد شهران وعن طريق الحجاز وعن طريق تهامة ومن الجنوب ، وما لهم بعض القبائل وخاف بعضهم الآخر واستطاع الأحمال أن يدخلوا عسير ، إلا أن الأمير عائض بقي رابط الجأش ثابت الجنان يغير على العدو الفارقات الغارة حتى استطاع إخراجهم

- ١٢٠ -

www.asirnet.net

وفي عام ١٢٥٦ هـ غزا الأمير محمد بن مفرح نائباً عن الأمير عائض تهامة اليمن بالاتفاق مع الأمير حسين بن علي بن حيدر أمير أبي عريش وذلك بنية إخراج الترك منها .

وفي العام نفسه غزا الأمير حسين بن علي بن حيدر مخا بالاتفاق مع الأمير عائض ، كذلك قاتل الأمير محمد بن مفرح بلاد بني عمرو في السراة . وخرج من الحجاز أحمد باشا سرعسكر الحجاز من قبل محمد علي وعاد محمد بن عون إلى مكة وعقد معاهدة هدنة بينه وبين الأمير عائض ، عاد بسوجه أسرى عسير الذين كانوا في الحجاز ، وبانسحاب المصريين من الجزيرة ، والهدنة مع الحجاز ، وانشغال الدولة المشائية ، كل هذا فسح المجال للأمير عائض لأن يولد شؤون إمارته ويتفرغ لإرساء قواعدها .

قام ببعض الغزوات لبعض القبائل التي أرادت معاداته فأعادها للطاعة .

وفي عام ١٢٦٠ هـ استغل ضعف شريف مكة محمد بن عون فأغار على بيشة ، وبلاد شيران وبالقرن ، وبلاد غامد ، وأدخلهم في طاعته .

وفي عام ١٢٦٢ هـ توجه سبحانه بن مصلح الخشمي أمير حامية (تبالة) من قبل الأمير إلى الطائف فدخلها بعد مارك دامية ، مما أساء الأمير عائض لتسرعه فأقده دون علمه ، فأقده الرجال حياتهم وهو ما يحرس عليه ، ولو أنه قد نفوذ إلى منطقة أوسع وبلد مشهور مثل الطائف فإن توسعة النفوذ لأموض بالرجال ، فمزله .

- ١٢٢ -

www.asirnet.net

ومحمد بن مفرح وفي العام نفسه جهز الأمير عائض حملة إلى وادي العواسر بقيادة زيد بن شفلوت وولمان بن ذيب وعلاس بن عادي بقبائلهم من قحطان وقد استطاع ضمها إلى حكمه وعين عليها أميراً هو عبد الرحمن بن سليمان بن جيلان ثم أبدله بآل مرزوق الذي بقي في مركزه حتى عام ١٢٦٦ هـ حيث هاجمت قوة تركية قدمت من نجد فأجلته عن مواضعه ، وتابعت سيرها نحو عسير إلا أن قبائل يام تصدت لها بقيادة هادي بن مائرة الرشيد وسالم بن شفلوت بقبائل قحطان المربطة في قلعة (جاش) وهزمتها .

اتفق مع شريف مكة على تعيين الحدود بين الامارتين وقد أناب عنه الأمير محمد بن مفرح ، ومثل شريف مكة محمد بن عون ابنه عبد الله وذلك عام ١٢٦٥ هـ .

وغزا عام ١٢٦٦ هـ آل حذرة الذين يقيمون غربي درب بني شعبة قريباً من ساحل البحر الأحمر .

وفي عام ١٢٦٧ هـ ترك الاتفاق السابق بينه وبين شريف مكة بشأن الحدود وأغار على بيشة وبلاد بالقرن ، كما غزا في العام نفسه وادي تثليت .

وفي عام ١٢٦٨ هـ بعث سرية إلى بلاد غامد وهران بقيادة ابنه محمد فانتصرت عليهم ثم عاد فأرسل حملة أخرى في العام التالي بإمرة أخيه يحيى بن مرعي .

وفي عام ١٢٦٨ هـ سير عباس الأول والي مصر عشرة آلاف

- ١٢٤ -

www.asirnet.net

من عسير ٥٥٥٥٠ . ويظهر أن فشل هذه الحملة إنما كان بسبب الخلاف الذي وقع بين شريف مكة محمد بن عون الذي يريد بسط نفوذه على عسير وبين أحد سركس الحجاز من قبل محمد علي ٥٥٥٠٠ دعا محمد علي الخصمين إلى مصر بجبهة التنسيق ودراسة أمر المنطقة ، وهناك عزل محمد بن عون ، وأثبت أحد باشا في مكانه ، أما قبائل عسير فقد أرسلت البشري إلى فيصل بن تركي إمام الدولة السعودية تملئه بالترس كما بعث إليه بخمس الفضة مع بعض الهدايا تأكيداً للصلة بين عسير ونجد . فترت الحملات على عسير بعد هذا الذي حدث عام ١٢٥١ هـ فتفرغ الأمير عائض للقيام ببعض الإصلاحات وحفر الآبار ، وفتح بعض الطلبة للتفقه في الدين في المدرسة الحفظية في بلدة رجال وخصص لهم المرتبات .

وغزا بيشة عام ١٢٥٢ هـ ، وأرسل سرية إلى درب بني شعبة الحاضنة من أوباش القبائل الذين عاؤوا هناك الفساد . وسار عام ١٢٥٣ هـ إلى بلاد غامد وهران وأدخلهما في طاعته ، إلا أن أحمد باشا مندوب محمد علي في الحجاز استرجعها بعد مدة ، وعندما أراد الأمير عائض العودة إليها هزم جيشه هزيمة قاسية إذ كانت هناك قوات تركية وحجازية كبيرة مرابطة ترقب حركة الأمير .

انسحب المصريون من الجزيرة العربية عام ١٢٥٥ هـ بعد هزيمتهم في بلاد الشام وخرجوهم منها وبناء على اتفاق لندن ، وعاد الأمراء في الجزيرة العربية يوسمون دائرة نفوذهم .

- ١٢١ -

واستدعاه إلى أبها حيث ألقاه للتسلية وجعله أميناً على بيت المال وولى مكانه أخاه مسفر بن مصلح .

وقاتل عام ١٢٦٣ هـ بني جماعة الذين يقيمون في باقم ، وهي غربي طهران الجنوب ، وتقم الآن ضمن حدود اليمن .

وقد ضم الأمير عائض اليمن إلى إمارته عام ١٢٦٤ هـ ، عندما اختلف أئمة صنعاء على حكمها ، إذ استتجد به محمد بن يحيى الذي كان مناضياً لابن عمه المنصور ، فألمه بقوة من تهامة استطاعت أن تدخل صنعاء وتخرج منها المنصور وتقصدها إلى إمارة عسير . ولكن محمد بن يحيى الذي حكم صنعاء باسم الأمير عائض وجد وعورة الجبال ومناعة الحصون ، فصل نفسه ، ونقض العهد ، ولاحق قوات عسير وهي في طريقها إلى تهامة فجرت مارك يته وبين الشريف حسين بن علي بن حيدر آل الصيرات أسر إثرها الشريف حسين على أبواب زيد ، فهاجمت نجدة إلى قوات عسير فلاحقت محمد بن يحيى وأطلقت سراح الشريف حسين وأجلت قوات صنعاء عن مواقمها وهذا ماجعل محمد بن يحيى يكتب الأتراك الذين كانوا قد وصلوا إلى تهامة وانضم إليها وساروا معاً نحو صنعاء إلا أن الأتراك قد قبضوا عليه وقتلوه حيث عرفوا أنه رجل مختل ، ثم تابعوا سيرهم نحو صنعاء فاحتلوها وأجلوا عنها الإمام المنصور ، وهكذا تم للاتراك دخول اليمن بقيادة توفيق باشا . أما قوات عسير فقد بقيت مرابطة في الصحبة بقيادة علي حميدة

- ١٢٣ - (وزارة المعارف - النكبات العربية)

جندني نظامي إلى جبال عسير فهزمت هزيمة منكرة أمام الأمير عائض بن مرعي .

في عام ١٢٦٩ هـ حصلت عدة وقائع بين عائض بن مرعي والجيش المصرية انتصر فيها كلها أهل عسير بقيادة أميرهم ، الذي استأصل خصومه قتلاً وأسراً ، فأرسل الأمير عائض بشارة إلى إمام نجد فيصل بن تركي مع هدية وقصيدة لتأنيدهم علي بسن الحسين الحفظي التي يقول فيها :

قني فانظري يا أم عبد ماركاً
يشيب لها الولدان من كل أمرد

وإن كنت عنها في البعاد فسألني
ففيها أسود من مفيد^(١) برصد

وفيها ليوث الأزرد^(٢) من كل شيعم
يصالون فار الحرب حرباً لمتد

وفيها ديس عائض^(٣) حول وجهه
حياض المنايا أصدرت كل مورد

خليفة عصر للحنيف مثقف
لما أعوج منه في حجاز وأنجد

(١) بنو مفيد : إحدى قبائل عسير وأبرزها وحلفاء آل يزيد
(٢) الأزرد : قبائل عربية معروفة ينتمي إليها أهل عسير .
(٣) عائض : هو عائض بن مرعي أمير عسير آنذاك .

- ١٢٥ -

<p>وفي رواية الشيخين^(١) داهيات عليهم فما أغنى دفاع بسجد ويوم القضي^(٢) قد تفتت أمورهم</p> <p>ومن قبل ذا يوم المزية^(٣) عزهم ذليل بضرب المشرفي المجرد</p> <p>كناكب منها صرعوا ثم غودروا بأيدي رجال من شتوة^(٤) جدهم</p> <p>ولما وصل الوفد إلى الدرعة ومعه الهدية والقصيدة تبادل شعراء نجد للرد على القصيدة ، وقد اختيرت قصيدة ابن مشرف^(٥)</p>	<p>وفي رواية الشيخين^(١) داهيات عليهم فما أغنى دفاع بسجد ويوم القضي^(٢) قد تفتت أمورهم</p> <p>ومن قبل ذا يوم المزية^(٣) عزهم ذليل بضرب المشرفي المجرد</p> <p>كناكب منها صرعوا ثم غودروا بأيدي رجال من شتوة^(٤) جدهم</p> <p>ولما وصل الوفد إلى الدرعة ومعه الهدية والقصيدة تبادل شعراء نجد للرد على القصيدة ، وقد اختيرت قصيدة ابن مشرف^(٥)</p>
<p>(١) الشيخين : مركز رجال الملع وقد جرت فيها معركة ينسب إليها التسامح .</p> <p>(٢) القضي : اسم معركة جرت بين الطرفين المتقاتلين .</p> <p>(٣) المزية : بلدة غربي إيه ، وهي بلدة آل لاحق أبو سراح الزيد الذين وفد كانوا وزراء آل عائش .</p> <p>(٤) شتوة : لقب الأزد الذين يتنحون في سراة عسير .</p> <p>(٥) ابن مشرف : أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي ، ولد بالاحساء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، وتوفي</p>	<p>(١) الشيخين : مركز رجال الملع وقد جرت فيها معركة ينسب إليها التسامح .</p> <p>(٢) القضي : اسم معركة جرت بين الطرفين المتقاتلين .</p> <p>(٣) المزية : بلدة غربي إيه ، وهي بلدة آل لاحق أبو سراح الزيد الذين وفد كانوا وزراء آل عائش .</p> <p>(٤) شتوة : لقب الأزد الذين يتنحون في سراة عسير .</p> <p>(٥) ابن مشرف : أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي ، ولد بالاحساء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، وتوفي</p>

- ١٩٧ -

- ١٩٦ -

www.asirnet.net

<p>كثيراً في الحجاز ، ومنها الطاعون فذك بالكثير من الناس، وقد امتد أثر هذا المرض حتى عام ١٢٣٣ هـ وأصاب الأمير عائش بن مرعي ، وكانت منته به وذلك يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٣٣ هـ . وهذا</p> <p>امتد حكمه ما يقرب من ٢٤ سنة ترك بعده إمارة واسعة تمتد من بلاد زهران في الشمال حتى ظهران الجنوب قرب نجران في الجنوب ومن وادي تليل في الشرق حتى البحر الأحمر في الغرب ، وقد امتدت إلى تهامة اليمن حتى مخا .</p> <p>صفاته : « إن الأمير عائش بن مرعي كان على قسط وافر من راحة القلب وسجاسة الفطن وكان محسناً معاً للعلماء ومقدراً لهم ، فقد ذكر في حوادث عام ١٢٥٩ أن العلامة الشيخ زين العابدين الحفطي كتب إلى الأمير المشار إليه أن ينزل إلى تهامة لمواجهته ، فاستل ذلك ونزل إلى أول وادي تاه من بلاد بني زيد ، واجتمع بالشيوخ المشار إليه فيدل له وصايا وصانح ومسائل هي لبنيات الدين والملك من أعظم الوسائل لتفاتها بالرضى والقبول^(١) » . وهذه صفات لا تتوفر إلا لعدد قليل من الأمراء ، وهي علامة التواضع والتقوى « نعم الأمراء على أبواب العلماء^(٢) » .</p> <p>قال صاحب « الدر الثمين » : « وكان فيما أوصى به فيما يلغني بالإمارة للأمير عائش بن مرعي لا يعلم فيه من العزم والبسالة ،</p>	<p>وفتح المخا بالسيف للدين آية وزير وإنداد لأهل التسديد</p> <p>فلما تولى عائشاً منه (عائش)</p> <p>فما زال يحيى بالسيف يحيى الهدى وإمهم كالحمام المجرد</p> <p>ويروي العدا في كل جمع ومعهشد ويضرب من هاهنا كل قمعده</p> <p>شئى النفس من أعداء دين محمد بنصر واسطاف على كل مفصده</p> <p>وفي عام ١٢٧١ هـ غزا مانع بن نصيب وسعد بن منيف يتآلفهم من بني يام بني مرة لتقصيم المهدي وتعمدهم على البلاد . وقد قتل إثر هذه المعركة من بني يام موسى بن حسن الكرمي وعلي بن نصيب وراشد بن مطر البديري .</p> <p>وفي عام ١٢٧٢ هـ جهزت الأتراك حملة إلى عسير وأرسلتها عن طريق القنفذة حيث كان للأمير عائش قوة مرابطة هناك بقيادة علي بن ظامي بن شبيب فتصدت لها وأعادتها مهزومة وبدخل قائد عسير بن من مع من الجند مكة المكرمة فأدوا العمرة وعادوا إلى رباطهم بالقنفذة لم يصعب أذى .</p> <p>ومنذ عام ١٢٦٩ هـ بدأت الأوبئة تصل إلى عسير بعد أن انتشرت</p>
<p>(١) في ربيع الثامن عشر محمد عمر رفيع ص ٢٢٣ طبعة ١٢٧٢ هـ .</p> <p>١٩٥٤ م دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة .</p> <p>(٢) المرجع السابق .</p>	<p>(١) في ربيع الثامن عشر محمد عمر رفيع ص ٢٢٣ طبعة ١٢٧٢ هـ .</p> <p>١٩٥٤ م دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة .</p> <p>(٢) المرجع السابق .</p>

- ١٩٩ -

- ١٩٨ -

www.asirnet.net

<p>كبار السن الذين أدركوا حكمه وكان هذا منذ سنين عاماً أن الأمير عائش بن مرعي كان يعزل شيئاً من خسر الشانم التي يحصل عليها في غزواته ، وشيئاً من الزكاة خصوصاً الأبل ويجعل لها رعاة ينتقلون بها في مواقع الغيث في انتظار من تستب له الأمور من آل سمود ليذهبها إليه ، وظلت مدة طويلة بأيدي رعاتها ، وعندما انتصر على الأتراك والمصريين في حملاتهم المتكررة على عسير ، وحصل عنده كثيراً من الأسلحة والذخيرة والخيول والذهب أرسل جزءاً كبيراً من الأسلحة والذخيرة والذهب وبعض الجياد منيع الإبل إلى الإمام فيصل بن تركي بعد ما استعاد الكثير من مملكة آباءة وأجداده ، وعهد إلى زيد بن شفلوت شيخ بادية عبيدة بإيصالها إليه في الرياض ، وبعت معه بشخص من آل الحفطي يصل رسالة منه إلى الإمام فيصل يرف إليه بشرى الانتصارات التي أحرزها ومعهما قصيدة لعلي بن الحسين الحفطي بعدد فيها المواقع التي دارت فيها المارك والتي كان النصر فيها حليف الأمير عائش ابن مرعي وجنوده^(١) » ومعنى هذا أنه لم يكن حريصاً على الدنيا ، ويحرص على البقية ...</p> <p>أسرته : أمه عائشة بنت عامر بن أحمد المتحفي أخت محمد ابن عامر أبو نقطة فهي من أسرة الوجاعة في قبيلة ربيعة ورفيدة .</p>	<p>وحسن السياسة والنبالة - قانتت إلى ضبط المملكة بجاش ثابت ، وقدم أروخ من الجبال الثواب ، يخضع لسلطوته كل معاند ، وتزهو باسمه الصكوك في جميع المقاصد ، وهذا كله بعد ما وقع بينه وبين الأتراك من الملاحم الكبار التي تسك المسامع وتعمسي الأضرار ، فحسى حتى بلاده ، وأعانه الله تعالى على القيام براده ، وأذاق أولئك في حروبهم معه السمل الزخاف ، ورقم السيف على مصفات المملكة بالدم المهرق .</p> <p>وما تضر سيوف في ممالكها حتى تغلق دهرأ منه في القتل والمعروف أنه سار على نهج سلفه الأمير علي بن مجتل في النود عن حياض الدعوة ، والولاء لآل سمود الذين تقلص ظل نفوذهم في كثير من أنحاء الجزيرة الغربية بدليل أنه تولى الحكم في أواخر عام ١٢٤٩ هـ في الوقت الذي قتل فيه الإمام تركي بن عبد الله آل سمود رحمه الله تعالى وفي الفترة التي انقطعت فيها الصلة بين نجد وعسير وكثرت الاضطرابات التي واكبت تقلد الإمام فيصل بن تركي زمام الحكم في نجد ، ومع ذلك فإن الأمير عائش بن مرعي يعتبر حكمه امتداداً لحكم آل سمود في اقليم عسير وإن كان مادون من تاريخ حكمه لا يمتد إلا بذكر بعض الحوادث المتكبة الطققات ، فهناك الكثير من الحوادث والوقائع التي سمعتها من عاصروا أواخر حكمه لم أجد لها ذكراً فيما دون من كتب عن تاريخ عسير وحكامهم ، من ذلك ما سمعته من بعض</p>
<p>(١) مجلة العرب التي تصدر من دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض ج ١١ و ١٢ السنة التاسعة جماديان ١٣٦٥ هـ</p>	<p>(١) مجلة العرب التي تصدر من دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض ج ١١ و ١٢ السنة التاسعة جماديان ١٣٦٥ هـ</p>

- ٢٠١ -

- ٢٠٠ -

www.asirnet.net

ضافة إلى أبيه الذي تحدثنا عن أصالته إذ أنه سليل الدولة الأموية قد خلف من الأولاد :

- ١ - علياً ولد عام ١٢٤٥ هـ .
- ٢ - محمداً ولد عام ١٢٥١ هـ .
- ٣ - سعيداً ولد عام ١٢٥٦ هـ .
- ٤ - عبد الرحمن ولد عام ١٢٦٥ هـ .
- ٥ - عائشة - وقد تزوجها فخر بن غرم السبيلي وأنجبت له ابنة أسماها صالحه تزوجها الشريف عبد الله بن محمد بن عون وهي أم أولاده .

- ٦ - صالحه .
- ٧ - حليمة : وتزوجها إبراهيم بن حسين بن مشيط وأولدت له صالحه التي تزوجها سعيد ابن عبد العزيز بن حسين بن مشيط وولدت له علياً شيخ شمل قبائل ناهس وشهران حالياً .
- وأم هؤلاء جميعاً سرّاً بنت مشيط بن سالم أحد وجهاء بني بهران القبيلة العربية المروفة .

- ٨ - كما ولد له سعد عام ١٢٥٣ هـ .
- ٩ - وولد له ناصر عام ١٢٥٨ هـ .
- وأمهما زهرا بنت مشير بن غرار .

- ٢٠٢ -

www.asirnet.net

لرباط قحطان تستمر أيام الحرب ، وخاصة في تباله إحدى أودية بيشة . ولا تزال آثارها باقية .

كما اختط ما يماثلها في مدن اليمن كزبيد والحديدة والمخا وحيس واللحيع ومور وميدي ، وكذلك في جيزان التي أقام الادريسي على اقاضها قلعة ، وإضافة إلى هذه القلاع أقام أخرى في العرمة ومسيلة وأبي عريش وأطلق عليها دار النصر . وفي الشقيق والبرك والليث ولا تزال أنقاض مظهرها باقية .

كما اختط مثلهما في الظفير وبدر (الجنوب) وجزر فرسان . وأقام داراً للضيافة في (ريده) وأخرى في (حرمله) ، وكاتتا مع ما أقيم قبله من مضافات مكاناً لتزول الضيوف على اختلاف مستوياتهم ، ويقدم لهم الطعام ثلاث مرات في اليوم ، إضافة إلى ما يعطى علناً لدواهم .

- ٢٠٤ -

www.asirnet.net

الأمير محمد بن عبد الله

١٢٧٣ - ١٢٨٩ هـ

رغم أن علياً كان أكبر أولاد الأمير عائش إلا أنه كان يتوي أن يبايع سعاداً ثالث أبناؤه إلا أن محمداً كان أقواهم ويده شيء من السلطة حيث قاد الحملات ... ولم تكن الرغبة هي وحدها الكافية للبيعة وأخذ الطاعة وإنما لابد من مواقف أهل العلم والعقد وقد دعا الأمير عائش في أواخر حياته كبار القوم وشيوخ القبائل وأهل الرأي لاختيار الأمير من بعده ويظهر أنهم خانوا محمداً ، أو خشوا سطوته إذ عرف بالقوة حتى يقال : إنه رفض قتل الأسد وهو مكمل فنانزه وصريحه (١) ، كما حذروا أن يطلب الأمر وتنقسم البلاد في وقت هم بأشد الحاجة إلى الاتفاق ووحدة الكلمة لذلك فقد رشحوا للأمير ابنه محمداً ، وما كان له إلا أن يستجيب وبخاصة أنه يشعر بدنو أجله واقتراب منيته ، وكان محمداً آنذاك يربط بجيش على حدود الطائف ، وعندما عاد بلغه ما كان من أمر البيعة .

توفي الأمير عائش يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٧٣ هـ وأصبح

(١) مذكرات الحفظي .

- ٢٠٦ -

www.asirnet.net

- ١٠ - كما رزق عيد الله عام ١٢٥٨ هـ .
- ١١ - ويحيى عام ١٢٦٣ هـ .
- ١٢ - وأحمد عام ١٢٦٨ هـ .
- وأمهم غايه بنت محمد بن أحمد المتحفي أخراهم آل المتحفي .
- وهذا يكون قد تزوج ثلاثة نساء أنجب كلهن ، وكان له تسعة أولاد ذكراً وثلاث بنات .

اصلاحاته :

- ١ - اختط عدة حصون منها : حصن شدا بدينية أيها ، وحصون السقا ، وريده ، وحرمة وكان يطلق على الحصون أسماء قبائل لأغراض سياسية واقتصادية تدل على ذكاء مقدر .
- ٢ - أقام عدة مساجد منها : في السقا ، وريده ، وأيها .
- ٣ - أصلح عدة مناطق زراعية ، وأنشأ البساتين في وادي أيها ، ومن المزارع ماهو في وادي بيث .
- ٤ - أنشأ مدرسة علمية تدرس مبادئ الفقه والتوحيد والتفسير والحديث .
- ٥ - حفر الآبار في وادي أيها ، والقيشة ، والسقا ، وريده ، وحرمة ، ومسيلة .
- ٦ - اختط في بيشة في موقع يسمى القاع قلعة وجعلها رباطاً لمقاتلة بيشة . كما اختط أخرى في جاش من وادي ثلثيت لمقاتلة قبائل قحطان وثلثيت . وقالة في البرك ، ورابعة في بلاد شريف

- ٢٠٣ -



- ٢٠٥ -

ابنه محمد أميراً على عسير منذ اليوم التالي وقد أخذ البيعة من إخوته وأقربائه الأديين وشيوخ القبائل وعليه التوفيق وكان يكنى بأبي سعد وكانت مدة حكم أبيه قد وطلدت له دنائهم الملك ووسعت له رقعة ، قدمت في عهده عسير بالخير وعهدها الرخاء والأمن والاستقرار .

كانت الدولة العثمانية أيام الأمير محمد مشغولة بشكلاها الخاصة وماجرته بحروب محمد علي وما فسدت الحركات الداخلية ، وقد وجهت همتها للقضاء عليه فجردت الحملة تلو الأخرى إلا أنها كلها باءت بالفشل وتحطمت أمام قوة عسير . وقد استماتت الخديوية والدولة العثمانية بالأمير فيصل بن تركي ضد ثورة عسير عام ١٢٦٣ م (١٢٨٠ هـ) ، وأرسل الخديوي إلى فيصل كتاباً ذكر فيه : أنه لا يفتنى على حضرتكم ما حل بجمعة اليمن من تمرد بعض الأتقياء وأن دره المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وتلك الجهة وإن لم تكن تحت حكومة هذا الطرف (يعني الخديوية) لكن بالنظر لوسلة الارتباط بالدولة العليا يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر ما يمكن في تأديب من تعدى .. والمهم الضروري سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصص وعساكر تقم هذه الفتنة ومن القديم مؤكداً ومثبوتاً انتساب حضرتكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بقضاء ما يلزم لها من الاشتغال وغاية المأمول أن ما يلزم إلى الساكنة المرسلة من هذا الطرف من المساعدات من جهة جنانكم سواء كان في تسهيل

- ٢٠٧ -

أمورهم أو قضاء لوازهم يشير اجراءه بوقت ومأير من همكم في هذا المقصد المستحسن^(١) ١٠٠٠٠ وبيد أن فيصل لم يقدم أي مساعدات تذكر لأنه كان على علاقة طيبة مع قبائل عسير ومع زعماء المنطقة من آل عائض ، حتى أنه في أحيان كثيرة كان يحاكم عسير يرسلون إلى حكام نجد بعض غنائمهم دليلاً على الولاء والطاعة المنتدة عليهم منذ زمن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود .

وقد جاءت الحملة المنتجة إلى عسير بالفعل إلا أن الحاميات العسكرية المربطة في القلاع ببلاد يثية قد تصدت لها وإبادتها .

وفي عام ١٢٨٠ هـ تقدم الأمير محمد بعيش نحو مدينة أبي عريش بناء على طلب أهلها الذين ضاقتوا ذرعاً بالفتن والخلافات القائمة بين أفراد الأسرة الحاكمة ، كما ضاقت الأمير محمد ذرعاً بكثرة مراوغة الشريف الحسن بن محمد وبعدم التزامه بعهوده ومواقفه ولرفضة الشفوخ إلى عندما أبلغه نيا اقتيال ابن عمه الشريف الحسن بن الحسين بن علي بن حيدر وكذلك فقد رفض الأمير محمد بن عائض طلب تمديد إمارة الشريف وقرر إبعاده نهائياً ، وما وصل الأمير محمد إلى مشارف المدينة حتى استقبله أهلها ودخل المدينة دون قتال أما أميرها الحسن بن محمد فقد لاذ

(١) الدولة السعودية الثانية - عبد الفتاح أبو علي ص ١٥٣ .

- ٢٠٨ -

www.asirnet.net

زود الأمير محمد الشيخين بهدية قيمة إلى الأمير عبد الله بن فيصل ورسالة يخبره فيها أن سعود قد طلب المساعدة إلا أننا لم نوافقه ، وأشرنا عليه بالرجوع فلم يوافق . وهذا يدل على مقدار قوة ابن عائض ، وذلك أنه في عدم دخوله في الخلافات التي نشأت بين أبناء فيصل .

ولما تحقق للأمير سعود بن فيصل أنه لن يحصل على مساعدة من ابن عائض خرج من عنده وتوجه إلى نجران حيث حصل هناك على ما يريد من مساعدة .

كان محمد رجل حرب أكثر منه رجل علم وسياسة ، ورجل الحرب تشته بطلته إن وجد فتنة أو لاحظ فساداً أو فوضى ٠٠٠ أما العلماء الذين راوا فرقاً بين أبيه الذي يقرب العلماء ويتأخذ برأيهم ونصائحهم ، وبينه هو الذي يريد أن يعتمد على قوة السلاح وسواعد الأبطال ، فصرخوا في وجهه أن اقراج الزاوية بين الخير والشر تسبح إن استمر في خطته وسيهر ، وأن المعروف يؤدي تدريجياً ، وتار رجال الم عام ١٢٨٥ هـ إلا أنه انصر عليهم بعد أن أرسل إليهم وفداً برئاسة لاحق بن أحمد الزيداني للتوسط إلا أن الوفد قد فشل في مهمته .

وفي عام ١٢٨٨ هـ كانت قوة الأمير محمد بن عائض قد بلغت أوجها وأطاع أهل المنطقة جميعاً والخلاف الليباني، وتهامة بأسرها راضية قوته مرهوبة الجانب ، وتحسب له الدولة ألف حساب لآسيا وأن حملاتها كانت تتعلم أمام قوة عسير ولم تجد الطرق

- ٢١٠ -

www.asirnet.net

الطرفين قتلاً ٠٠٠٠ وبقيت الترك تحت كل بلد يرتحل عنه الأمير محمد فذبت القوضى في صفوف الجيش العسيري وخرج الأمر من يد الأمير محمد ٠٠٠ ويظهر أن الجند أثناء هذا قد ارتكبوا أعمالاً المنتصرين أو عملوا أعمالاً المنتهزمين الناقمين ، وهذا ما كان له أسوأ الأثر على سمعة الأمير بصورة خاصة والعسيريين بوجه عام، وبخاصة أنهم كانوا يسمون عند الدولة العثمانية بالعصاة ٠٠٠٠ هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد نسب للعسيريين ما فعله الترك عند دخولهم المناطق ٠٠٠٠

وما كاد يصل إلى أطراف إياها حتى فوجئ ببرد أخيه سعيد ابن عائض من بلاد غامد وزهران ويثية ، وطرد الحامية المتمركزة في القلاع في بلاد يثية بإمرة أحمد بن ضيمان الغربي ٠٠٠٠ ثم احتلال بلاد زهران من قبيل جيش يقوده شريف مكة والسير للهجوم على أيها من جهة الشرق ٠٠

وقد زلت حملة أخرى في القنفذة بقيادة محمد رديف باشا للتوجه إلى عسير والتمركز في شمار ، وجاءت قوة رابعة زلت في الشقيق على أن يكون طريقها إلى عسير والتمركز في جبل تهمل ، وطرد والي تهامة من قبل الأمير محمد بن عائض لاحق بن أحمد أبو سراح الزيداني ٠٠٠٠

وصلت حملة القنفذة في ٢٠ شوال إلى المدينة وتقدمت إلى حلي بن بمقرب ٠٠٠٠ واستمد رجال الم لمقاومة خصومهم في أول بلادهم ، وتقدم الترك إلى محافل فاحتلوها ، ومنها راسلوا

- ٢١٢ -

www.asirnet.net

بقصره معتصماً فيه مع من معه ثم انصب في الليل هارباً ، وهكذا ضم المخلاف السليباني إلى عسير ٠٠٠٠

وفي عام ١٢٨١ هـ جرد العشانيون في تهامة حملة ضد الحاميات العسيرية في المخلاف السليباني إلا أنها دحرت أسام الحامية العسيرية بإمرة محمد بن مفرح . كما جاءت حملة أخرى من الشمال بقيادة شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون لاحتلال بلاد غامد وزهران ويثية إلا أنها فشلت أيضاً أمام مقاومة الأمير سعيد بن عائض وكادت معركة فاصلة تراجع فيها الأتراك ، وساند الأمير سعيد القوة في بيثة المراقبة في القلاع بإمرة أحمد بن ضيمان الزيداني .

وبعد أن توفي الإمام فيصل بن تركي اختلف أبناءه من بعده وقام بعضهم على بعضهم الآخر ١٠٠٠٠ وفي عام ١٢٨٣ هـ خرج سعود بن فيصل مناصباً لأخيه عبد الله وتوجه إلى الأمير محمد ابن عائض الذي بلغ من القوة مبلغاً كبيراً حتى عرف باسم « محمد الفاتح » تقدم عليه ، وأقام عنده مدة طالت منه النصر ضد أخيه ، ولما علم عبد الله بن فيصل باستقرار أخيه سعود عند ابن عائض أرسل إليه بهدية مع الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ سعد بن ربيعة وكتب إليه بأن خروج أخيه من الرياض من غير سبب ويجب ذلك ، وأن مراده قطية الرجم والشقاق ، وكتب إلى أخيه سعود يأمره بالقدوم عليه ، وأنه يعطيه ما طلب ٠٠٠٠ فأبى سعود أن يرجع ٠٠٠٠ وقد

- ٢٠٩ - (وزارة المعارف - الكتبات المدرسية)

السلبية كما لم تجد الطرق العسكرية لذلك قررت غزوه مهساً كلف الأمر ، وفي الوقت نفسه فقد كانت الدولة العثمانية تريد أن تستعيد نفوذها في المناطق الخارجية عنها وأن تقوي مركزها بعدما أصابها من الضعف ٠٠٠٠ لهذا كله أعدت عدة حملات لهذه الغاية ٠٠٠٠٠٠ ووصلت إمارة عسير إلى أقصى اتساع لها إذ امتدت من الحجاز شمالاً إلى عدن جنوباً ومن البحر الأحمر غرباً إلى الربع الخالي شرقاً ، كما امتدت في الجهة الشمالية الشرقية إلى جبلي حضن وسجيه ووادي الدواسر وهضبة حصاة قطمان التي هي في أقصى وادي الرين من منطقة القويبية .

ترامت الأخبار إلى الأمير محمد بن واليه على مغا ، وزيد والحديدة والمخلاف السليباني محمد بن مفرح أن الأتراك قد زحفوا على جهته بقوات كثيفة واقصم إليها مرتزقة من الين ٠٠٠ ثم توات عليه الأنباء أن الترك قد حاصروا ابن مفرح وحاميته بنعية لإجلائهم عن الحديدة بعد أن أجلوهم عن المغا ٠٠٠٠ فتوجه الأمير بقوة حتى وصل إلى الحديدة وفك الحصار عن حاميتها وأخرج الترك من المغا وتبع تراجعهم ، وعزم على مواصلة الزحف لاحتلال سناما، وطردهم من الين بأسره ، إلا أنه ما لبث وهو يواصل زحفه أن جاءه الأخبار بأن قوات تركية قامت باحتلال بلاد غامد وزهران ويثية ، وطرد حاميات عسير منها ومواصلة زحفها إلى أيها فتراجع إلى المغا ومنها إلى الحديدة ٠٠ ونشط الأتراك في ملاحقته بعد معارك دامية ذهب الكثير فيها من

- ٢١١ -

الأمير محمد بن عائض في الطاعة والاستسلام أو القتال ٠٠٠ ثم سار محمد رديف فالتقى رجال الم وهزمهم وارتقى بمن معه من الترك إلى السراة عن طريق عقبة شمسار ، أما أحمد مختار باشا فقد توغل في أودية تهامة .

وعندما وصل الأمير محمد إلى أيها ، عقد اجتماعاً ضم عليه القوم وشيوخ القبائل الموالية إليه فتماهدوا على العرب والتضحية والذلل في سبيل كسب النصر مهما كان الثمن ٠٠٠ وبدؤوا بالاستعداد لذلك ٠٠٠٠

أما قوة الترك فكانت كبيرة واعتبرت حملاتها هذه انتحارية إما الضر والقضاء على آل عائض وإما الهيمنة الكراء وترك عسير إلى الأبد ، لذلك فقد أُرهب الترك القبائل التي رأت أن لا طاقة لها بالحرب أمام هذه الجيوش الجارفة فبدأت تلوذ بالفرا أو تمتصم في معاقها السرية ٠٠٠ حتى ترى النتيجة ولن تكون الغلبة . وكانت القيادة التركية تضم إليها القبائل التي تسير معها خوفاً أو طمعا تهرب خصمها بها وتكسب لها انتصاراً باسم أنه تقايل جنود من عسير ٠٠٠٠ هذا على حين كانت قوة آل عائض آخذة في الضعف بين يوم وآخر ، فإن ما معهم قلة لا ينهض به نصر ، والذخيرة تتناقص مع الأيام أيضاً ، وليس هناك من سند أو دعم أو جهة يأتي منها السلاح وإنما الاعتماد على النفس ٠٠٠٠٠ قسم الأمير محمد بن عائض القبائل والجند الذين حولته

- ٢١٢ -

www.asirnet.net

إلى أقسام ووجه كل قسم إلى جهة ٥٥٥٥. فقد وجه أخاه سعيداً إلى السقا ومعه بنو مفيد ٥٥
 ووجه أخاه سعيداً إلى رجال ألمع ومعه علكم بإمرة حامد بن سليمان وأبي زوغة ٥٥
 ووجه أخاه عبد الله إلى بلاد ابن هشيل مع عدد من بني مالك بإمرة معدني بن علي وأبي حشر ٥٥
 ووجه أخاه يحيى إلى صيبا وبني شعبة مع عدد من بني مالك ومعه أيضاً علي بن سعيد بن مسلط وحمود شيخ بني شعبة ٥٥
 ووجه عبد الوهاب المتحمي ومحمد بن علي بن مجتل إلى باحة ربيعة مع قبيلة ربيعة ورقيدة ٥٥٥٥
 وأمر أخاه ناصراً بالرباطة في أجا ٥٥٥٥ ومعه رجال من قحطان وشهران ورجال الحجر وبيشة وتثليل والمجنان وبقية القبائل التي معه ٥٥٥٥
 وسار هو على رأس قوة إلى باحة شمار لمقاومة الترك المتجهين نحوها ٥٥٥٥
 وتم له النصر في المارك كلها تقريباً ٥٥٥٥
 وصل الأمير محمد بن عائض إلى باحة شمار وتركز فيها بانتظار خروج الأتراك منها وإذ به يفاجأ بوصولهم إلى سفوح جبل تهال بعد ارتقائهم السراة عن طريق عقبة الصماء ، أي أنهم أصبحوا جنوبي الجيش المسيري ٥٥٥٥
 ذهل المسيريون بوصول الشمانين إلى جبل تهال فأصرعوا

- ٢١٤ -

www.asirnet.net

منه على ميثاقه ، ولم تجده المخاضة السياسية فلجأ إلى المناورة العسكرية ، فأمر قسماً من جنده المرباط في القنفذة أن يسير بإمرة أحمد مختار باشا ويحير إلى الشقيق ومن هناك يتوجه إلى السراة عن طريق وادي مربة وكان دليل الطريق شيخ (حلي بن يعقوب) عبر بن عبد الله الذويبي ٥٥٥٥
 تحرك أحمد مختار باشا ضمن الخطة المرسومة وتوجه نحو السراة سالماً وادي مربة وبينما كان الأمير محمد يقاوم الترك على الجهة الشرقية إذ ظلم عليه جند آخرون من جهة الغرب فأصبح بين ثارين واستمر القتال ودامت الاشتباكات العنيفة خمسة أيام وهنت على إثرها قلوب المسيريين وساور الخوف قلوبهم وهم في مأمنهم ، فخرج من كان في حصن شهران ٥٥٥٥ واضطرب من كان في الحصن وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ولم تعد تن قوة الرجال ولم يتذكروا ما قطعوا على أنفسهم من عهود ومواثيق إذ خارت القوى عندما ذكرهم أميرهم ٥٥٥٥ كأنهم لم يسمعوا ٥٥٥٥
 توسط شريف مكة عبدالله بن محمد بن عون في الأمر وكان ضمن القادة المتقاتلين ، وتدخل بين الطرفين واستطاع التوصل إلى اتفاق ، بحيث يطلب الأمير محمد الأمان فيعطاه « ويسلم البلاد ، وتحفظ له الدولة أملاكه كافة ، وتأخذ وعاقبته مرتباً معيناً بواصدر السلطان عبد العزيز فرمأً بذلك ، ووصل الثرمان إلى الجهات المختصة ومنها القوات الشمانية المتحركة في السقا وكذا المحاصرة

- ٢١٦ -

www.asirnet.net

أما ناصر بن عائض فقد بقي مرباطاً في أجا التي لم تسقط بعد بيد الترك ٥٥
 وأما القائد محمد رديف باشا فقد قل إلى الشقيق ليعبر إلى تركيا إلا أن منيته قد أدركته وهو في الشقيق فدفن هناك ٥٥
 ودمرت بلدة ريدة وأصبحت أثراً بعد عين بعد أن كانت عروسة في قمتها الشامخة وقصرها المنيف المنيع الذي نالما حطيم كبرياء الجبابرة من الغزاة ٥٥

- ٢١٨ -

www.asirnet.net

إليهم ودار القتال بين الطرفين وكان سجلاً بين الفريقين ، ثم اضطر أمير عسير إلى التراجع إلى قرية السقا فلاحقه الشمانيون واشتبكوا معه في معركة دامت خمسة أيام انتهت بهزيمة عسير ودخول الترك السقا ٥٥ وسار الأمير إلى جهة الحيفر غربي السقا فقبضه المهاجرون ، وأخيراً التجأ إلى قرية ريدة وتحصن فيها وهي ذات موقع منع ومركز حصين يصعب احتلاله ويشق على المهاجم الوصول إليه مهما بلغت قوته ٥٥

ومن جهة أخرى فقد هزم الأمير يحيى بن عائض وعلي بن سعيد بن مسلط وحمود الشعبي أمام الترك في درب بني شعبة في مطلع عام ١٢٨٨ هـ ١٢٨٩/١/٤ ، وبعد هذه الهزيمة توالى الهزائم على عسير بعد أن كادت تهزم الترك ٥٥ إلا أن قلة السلاح ونقص المتاد ووهن الرجال قد لعب دوره أمام الكثرة من القوات وقوة السلاح وزيادة المتاد ٥٥٥٥

استسلم محمد رديف باشا بعض رجالات القبائل وأقاموا معه بالسقا وصار بواسطتهم يرسل الأمير محمداً ويدعوه إلى الطاعة والتسليم ويمطيه الأمان ، وكاد الأمير يركن إلى الباشا لولا سماعه نصيحة بعض من معه بإرسال أخيه سعيد قبل ذلك يستوضح الأمر ويستجلي الخبر ويتبين من الوضع ، وسار سعيد إلى السقا مركز الباشا وما أن وصل إليها ووقفت عليه عين رديف باشا حتى أمر بإلقائه في السجن مكبلاً بالحديد ٥٥

واستمر القتال ، وأحصى حسن ريدة رديف باشا ولم يحصل

- ٢١٥ -

أريدة ، وبناءً عليه أعلن الأمير محمد الاستسلام ، وفتح حصن ريدة للقوات المهاجمة ، وسلم نفسه إلى القائد أحمد مختار باشا ٥٥

ولما تمكن الترك من حصن ريدة قبضوا على المستسلمين ، وبسببوا إلى السجن ٥٥٥٥ ونزل رديف باشا من السقا إلى ريدة ودخل مجلس القائد أحمد مختار ، فوقفت عينه على الأمير محمد جالساً بجانيه فغضب وكلام أحمد مختار بأنه يريد أن يعدمه ٥٥٥٥ فاجابه أحمد مختار بأنه الإمام والفرمان على يروعو أن يتراجع وكان الشرر يتظاهر من عينه وكان الحديث الذي دار بالتركية إلا أن سعداً فهم بعضه وعلم أنه الموت فوبئ على محمد رديف بسكين مسومة كانت معه فطعن في بطنه وثار كل من في المجلس على بعضهم بعضاً وانتهت المعركة بقتل محمد وسعد وعبد الله أولاد عائض ومحمد بن علي بن مجتل والثاني عشر رجلاً آخر معهم من أعيان عسير ٥٥٥٥٥٥ أما بقية أبناء عائض وهم سعيد وعبد الرحمن وأحمد وعلي ويحيى وسعد بن محمد بن عائض وحتى فاطمة بنت سعد بن عائض ٥٥٥٥٥٥ فقد حلوا إلى استنبول مع ٦٥٥ رجل من سراة القوم منهم رئيس قضاة عسير الشيخ أحمد بن عبد الخالق الخططي وعلي بن طامي وناصر بن طامي ٥٥٥٥ كما أخذ كل ما في الخزائن من أموال وكتب نفيسة فادرة وقلت أيضاً إلى استنبول ٥٥٥٥

- ٢١٧ -

الحكم العثماني

١٢٨٩ - ١٣٣٧ هـ

بعد الاستسلام على ريدة وقتل الأمير محمد بن عائض خضعت عسير للحكم العثماني ، وأصبحت متصرفية خاصة إلا أن الوضع لم يستقر فيها إذ سادها الاضطراب وكثرت فيها الانتفاضات ، واتحد فيها الأمن حتى كان كل إنسان يخاف على ماله وعلى أملاكه وأهله ٥٥٥٥ وهذا أمر طبيعي فالإسلام بيد عن الحكم لذا عمت حياة القوضى ، وأصبحت القوانين تن حسب المصالح الشخصية ومتنقيات الظروف الخاصة وعندما يأتي الوالي ، يتصرف بالأمور وكان المنطقة إقطاع له ، فهو مطلق الصلاحية فيها يأمر وينهى ويقطع وينتج حسب هواه وما تسول له نفسه ٥٥

جاءت الدولة العثمانية إلى هذه المناطق كما دخلت إلى غيرها من بلاد الإسلام باسم الإسلام ولحماية أرضه من أعدائه الذين طردوا أبوابه وشنوا حرباً على أهله شعواء وحشية وهذا السكان مدة من الزمن لهذا الشعار إلا أنهم لاحظوا أن هذا الكلام شعار لا ينطوي على شيء ، فالإسلام بيد عن كل عمل ٥٥٥٥ اللهم إلا ما يتفق وراي الحاكم فإن وافق فهو الإسلام وإلا فهو الكفر ٥٥٥٥

- ٢١٩ -

ولقد استمرت زلوية الانحراف بالانقراج والانساع كلما مضت الأيام وتقدم المعهد على الدولة حتى كان أواخر الدولة فعم الفساد واستشرى البلاء وعندما أرادت الدولة العودة إلى ما قامت عليه اصطدمت بالواقع المرير من سوء السرائر وفساد الضالين فقاموا بالإشرار تلك اللحظة وهذه المحاولة فذهبت الدولة قبل تنفيذ المحاولة .

كانت السلطة في عصر الدولة العثمانية بالإسم ، إذ لم يكن أمر الولاية ينته لأكثر من المراكز العسكرية والوثائق وبعض المدن أحياناً وماعد ذلك فكانت السلطة الحقيقية بيد آل عاقش وشايخ القبائل لذا فإننا نستكمل عن السلطة الاسمية تحت عنوان الحكم العثماني وفي الوقت نفسه سنذكر الأمراء الذين كان يدعمهم الأمر ويحكمون حكماً فعلياً .

تولى القائد أحمد مختار باشا الأمر عسير بعد استيلائه عليها وسار مع الأهالي بمنتهى القسوة والعنف وقد جعل مدينة أبيها مركزاً للتصرفية وتبناها ستة أقضية هي :

- ١ - بنو شهر ومركزها الناص
- ٢ - بلاد غامد وتبناها أيضاً زهران ومركزها زغان
- ٣ - رجال ألمع ومقرها الشجين
- ٤ - محاليل وحاضرتها بلدة محاليل
- ٥ - القنفذة ومركزها مينا القنفذة
- ٦ - صيبا ومقرها مدينة صيبا

- ٢٢٠ -

www.asirnet.net

نظر رجال هذه الدولة الناشئة إلى وضمهم الذي هم فيه ورؤوا التعاون مع الجوار الذين هم على صلة بالخارج بشكل أوسع ، والذين ترمسوا على إدارة البلاد إلا أنهم اختلفوا حول الجهة التي يتعاونون معها فقد رأيت مجموعة التعاون مع الادريسي ومنهم القاضي عيسى الله بن مرعي وعبد العزيز النجمي وابن حامد وابن معدي وابن دليم وابن مشيط وقد استطاعت هذه المجموعة كسب الأمير حسن بن علي نفسه

ورأت مجموعة أخرى التعاون مع الشريف حسين ومنهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عاقش والشريف الحسيني وشيوخ بني شهر وغيرهم

وكانت أموال تدفق من الإدريسي إلى رجالات عسير كما أن أعداداً يقفون عليه وينالون من أعطياته ويرون من كرمه واقف أهل الرأي في البلاد أن يذهب وفدان من البلاد كل وفد إلى جهة من الجهتين التي يتجه نحوها نظر بعض الأفراد وتكون اتصالات واجتماعات وعندما يعود الوفدان ينتظر بما رجع المخبرون

سافر الأمير محمد بن عبد الرحمن وأخوه ناصر إلى مكة ... واستدعيا لمرافقتهم راشد بن جبعان بن ربوش ومحمد بن عبد العزيز شبيخي قبيلتي زهران وغامد والتقوا بشريف مكة وكان الحديث عن ارسال قوة كبيرة من عسير والحجاز لضرب ابن سعود تكون بعدها الهزيمة وتسليم البلاد له أو النصر

- ٢٥٤ -

www.asirnet.net

في صيبا ، وبهذه الأيام في جيزان ، ويظهر أن هذا الانتقال كان يحل فيه هدفاً سياسياً يريد أن يستجلي فيه رأي القبائل والقوة الحقيقية التي يملكها الادريسي وقد حدث لهذا الوفد أن التقى بالادريسي وبحث اتفاقية بين الطرفين ... بحيث توخدت التوثان اللتان في عسير ونهامة وتملحان معاً ضد الشريف في مكة وإسام الين في صنعاء وأن يكون الادريسي في صيبا المسؤول الأول ونائبه الأمير حسن في أبيها وله الحق في مرتب شهري قدره خمسة آلاف ريال ولكن الادريسي بما عرف من سياسة ودكاء قد استطاع أن يتصل بكل عضو من أعضاء الوفد ويعطيه مبلغاً من المال شهرياً يجعله مرتبطاً به وبخاصة ابن دليم شيخ مشايخ قحطان

وعاد الوفد إلى أبيها ينتظر عودة الوفد الذي سافر إلى مكة وبعد مدة وصل الأمير محمد بن عبد الرحمن ويحل في جيبته اتفاقاً مع الشريف ينص على ارتباط عسير اسماً بسكة مع موافقة الأمير حسن .

اجتمع أهل الرأي للتنسيق بين الاتفاقيين وتوصلوا إلى رأي موحد وهو الاستقلال فإله الحل الأمثل والطريق الصحيحة للخلاص من التنافس على عسير

جاء طلب الادريسي إلى عسير بتنفيذ تحقيق اتفاقية صيبا وارسل السلاح اللازم من مخلفات التراث الثقيلة لحرب الإمام

- ٢٥٦ -

www.asirnet.net

وعلم أنه خدع أما الادريسي فقد استجابهم في درب بني شعبة بجيش قوامه ستة آلاف مسلح وأخذ السلاح منهم ، واعتبرهم أسارى حرب ، وساقهم مباشرة في طريقهم إلى شقيق حيث تنتظرهم البواخر الانكليزية وبهذه حصل الادريسي على كمية من السلاح وإن لم يكن السلاح الثقيل من ضمنها .

واستمرت الكتب تتوالى على الأمير حسن من الادريسي .

شكل الأمير حسن حكومة محلية ، وأقام نواة جيش صغير كان يضم عدداً من الضباط الترك الذين تخطفوا في عسير ، وقبض على زمام الأمر بشكل جيد ، ولكن كان يقصه شيء كثير كان بحاجة إلى المال فالبالد تدخل عهداً جديداً ونخرج من فترة قوضي فهي بحاجة إلى مشروعات كثيرة ، وإعادة ماخرب أثناء عهد الحروب والزمن المرير الذي مرت فيه ، وبخاصة إلى الرجال الأكفاء الذين يدبرون الشؤون ويتعهدون الأمور ، وإن وجدت فئة قليلة منهم تمرت أثناء الحكم التركي بما أوكل إليها من وظائف ولكنها لاكتفي ، وبخاصة إلى الجند الكثير الذي يصحى البلاد من أطماع الطامعين وما أكثرهم وهم على مقربة ، وبخاصة إلى النشاط الزراعي بعد أن ملته الناس بسبب ما مر عليهم من خوف وما وجدوه من انعدام أمن ، والآن وقد حصرت البلاد وانقطعت مع الخارج علاقاتها ، وتوقفت المساعدات من الدولة التركية ، وذهب ما كان يعرفه المولطون والاداريون وأصبحت تعتمد على الانتاج المحلي بالدرجة الأولى لأن الاستيراد بحاجة إلى مال، والمال مفقود

والتخلص منه .

وكان الشريف حسين يرى أن الحرب بينه وبين ابن سعود بعيدة الاحتمال ، وأن ما يحدث بين الطرفين إلا مناوشات بسيطة تحدث دائماً بين الجوار ، كما يقول : إن جيبتي ابن سعود مظفه من عريان الحجاز ويكفي اغراقهم بالمال لتركه والابتعاد عنه . وإنه لو استطاع طرق أبواب الحرمين والحجاز لأن ذلك فسوق طاقته بكثير وبخاصة أنه مع خصمه العبد ابن الرشيد في ميدان الصراع . ثم إذا لزم الأمر جندته له كل قواها سواء أكانت مادية أم معنوية وعندها تعرف النتيجة ولن تكون العاقبة .

وذكر الأمير محمد الشريف حسين أن حسم الداء في مبدئه وواده في مهده أسلم وأبعد للخطر وإن أخشى ما أخشى أن يتفشى بنا اليوم ، ويتناول بكم المشاء غداً - وهذا ما تم - .

وقد أسهم الشريف حسين بإرسال حملة مع أهل عسير إلى نجد بقيادة حديدي بك (١) وعبد الله العمر وأمدتهم بالمال ، كما فتح مينا القنفذة إلى عسير ، وبقي يراقب الأحداث .

وسافر الأمير حسن بن علي ومعه رؤساء عسير وشهران وقحطان إلى المخلاف السلياني ومكث يومين في الدرب ومثلها

(١) حديدي بك : أحد الضباط الترك الذين بقوا في عسير ، ولم يعرف أهل البلاد لقبه وإنما اشتهر باسم حديدي بك .

- ٢٥٥ -

يحيى حميد الدين ورأى الأمير حسن أن الاعتذار عن ارسال السلاح يكفي وحده لنقض اتفاقية صيبا والتخلص من سيادة الادريسي المزعومة لمسير فاعتذر عن ارسال السلاح بحجة وجود قبائل مناوئة ويقضي الأمر إخضاعها واستعمال السلاح ضدها . وارسل الأمير حسن إلى الادريسي وفداً برئاسة ابن عه الأمير ناصر بن عبد الرحمن آل عاقش وقابل الادريسي نقض اتفاقية صيبا من قبل الأمير حسن برد فعل قوي إذ اعتقل الوفد الذي عنده برئاسة الأمير ناصر ، وأطلق مينا جيزان في وجه التجارة المصرية ، وأمر مصادرة كل ما ياتي من وإلى عسير عن طريق رجال ألمع في حين يسمح للمواالي له من أهل عسير بالتجارة وعدم الترضي لهم بسوء أو بالأحرى أعلن غرض حصار اقتصادي على عسير .

أمام هذا التصرف الادريسي كان لا يبد من التوجه نحو الشريف حسين ومينا القنفذة الذي يعتبر حجازاً وشمر الادريسي بغية الأمر وسوء تصرفه الذي أعقبه دعاية لخصمه شريف مكة ورأى أن عليه القيام بعمل عسكري لينهي كل وضع في غير صالحه

بدأ الادريسي بالاتصال بشايخ عسير مسن يتن بهم . ويوضح لهم أنه عازم على دخول أبيها بعد أن أحصل آل عاقش بوغورهم وموالتهم ، ويطلب منهم مناصرتهم في دخول أبيها وارسل جيشين الأول عن طريق رجال ألمع والثاني عن طريق بلاد

- ٢٥٧ - (وزارة المعارف - الكويت العربية)

قحطان ... وكان قد اتصل بإمام اليمن وطلب منه السلاح والرجال لمحاربة عسير الذين يملكون لحرب الطرفين (الأدرسي - إمام اليمن) ، إلا أن إمام اليمن قد رفض إعطائه السلاح ولكن أمده بعشرة آلاف جندي وكان الإمام يتبع حوادث القتال بشكل دائم .

أما الأمير حسن فقد اتصل بالشريف حسين بنكة وأعلنه حقيقة الوضع وطلب منه النجدة ... وأعلن الشريف حسين القائل الموالية له ، وطلب من ابن دليم ترك الأدرسي والانضمام إليه فأبى ... إلا أن بعض أمراء عبيدة وقحطان قد رفضوا دعوة الأدرسي وبقوا على ولائهم لآل عائض وكذا ابن سليم وابن فزاذن .

تقدم الجيش الأدرسي الأول في بلاد رجال ألمع فتمرضى له شيخ محابيل سليمان بن الخالد وأثناء هجومه على حامية الأدرسي قتل اثنين من رجال ألمع مما أثار المصيبة ، فوقف رجال ألمع جميعهم مع الأدرسي وهرب شيخ محابيل والتجأ إلى الحجاز في حين دخل رجال الأدرسي محابيل وسار الجيش وتركز في باحة ربيعة ورفيدة حسب نصيحة عبد العزيز بن عامر النحوي ولم يجد مقاومة أثناء تقدمه هذا وبينما كان الأمير حسن يستعد لملاقاة هذا الجيش ، إذ يصله خبر تقدم جيش الأدرسي الثاني في بلاد سنحان ووصلوه إلى المنطقة المسماة بالبطحاء وكان قائد عسير المكلف بمواجهة جيش الأدرسي على هذه الجبهة هو

محمد بن عبد الرحمن فهزم عسير في بداية الأمر وعندما وصلت إليها نجدة بناء على طلب أميرها الذي ضرب خصمه ضربة لاذ على أثرها بالفرار وهرب الجنود اليمينيون بسلاحهم إلى بلادهم وقد أرسل الأمير محمد حملة من قبيلة سنحان تنقب جيش الأدرسي المنهزم وتجرده من سلاحه .

وكذلك هزم جيش الأدرسي الأول بعد أن وصل إلى قوات الأمير حسن بنجدات وبخاصة وصول الجيش الذي انتصر في البطحاء ضد قوات الأدرسي وهكذا علت راية آل عائض فوق ربوع عسير وخرجوا منتصرين في معركة كانت أكبر من طاقتهم وأقوى من قوتهم حيث كانت جموعهم متفرقة وقيادتهم منتنة ، وقلوب مشايختها موزعة ، والأموال تنفق على الأفراد والكبار

وكانت أثناء تلك المعارك وفود في أبها لاستئصال آل عائض .. وفود من جات ثلاث من السعوديين والأدرسيين والهاشميين وروينا كان الهاشميون أقرب الوفود إلى النفوس ولكن دون عهد أو موافق

استقل ابن دليم وابن مشيط في بلاد شهران وقحطان وكانت الدعوة البليغة قد انتشرت في بلدتها وكانا من جنودهما هاشمياً

أما الأدرسي فقد رأى أنه هزم عسكرياً ، وفشل سياسياً

- ٢٥٩ -

- ٢٥٨ -

www.asirnet.net

وقد أنه أيضاً في أبها فرأى أن يسلك طريقاً أخرى هي طريق السياسة مع الخداع وبخاصة بعد أن طلب آل عائض الاستعداد للهجوم عليه ..

نظر الأدرسي إلى فشل الوفد السعودي سياسياً في أبها فهو شركته من هذا الجانب وأن المؤثر عليه إنما هو الجانب الديني فكتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود يوضح له خطر آل عائض وضرورة الاتفاق ضدهم وأدعى أنهم ينتهكون حرمت الدين وأن الأمير حسن قد عقد على الاختين (الواقع أن الأخت الأولى كانت قد ماتت فمقد على أخوها) .

كتب ابن سعود كتاباً إلى آل عائض وأرسله مع ابن مشيط يذكرهم فيه بالروابط السابقة بين أسرهم وأسلافه السعوديين .. أجاب الأمير حسن أنه لا خلاف بين السعوديين وآل عائض أبداً وأن هذا سيبدو جلياً بعد الانتصار على الشريف والأدرسي وإمام صنعاء فأنهم سبب ما يحدث في المنطقة وما يتم بين القبائل من حقد وضغائن

جاءت رسالة ثانية من الملك عبد العزيز إلى الأمير حسن وفيها نوع من التهديد وإن كانت من النوع السياسي بحيث تفسر على أنها طلب المطاعة كما تفسر على أنها نوع من التقرير والتهديد . وكان جواب الأمير حسن مشطاً من الرصاص أرسله إليه دلالة على الحرب .

فأرسل الملك عبد العزيز جيشاً بقيادة عبد العزيز بن مساعد مركز

في يشة مدة شهرين يتصل خلالها بالقبائل ومعه ابن دليم شيخ قحطان وابن مشيط شيخ شهران وسارت سرية من بني شهر لمناجاة جيش ابن مساعد وكان عددها ٤٠٠ مقاتل إلا أنها فُتت بكاملها في موقع يقال له « العين » إذ فاجأها بدلاء من أن تباغته إذ أدركها النوم بعد أن أعياها التعب وإذا بالجند يذبحون فيها .

وتقدم ابن مساعد إلى بلاد شهران الشرقية ففك في القلاع مدة من الزمن ثم سار فتمركز في بلدة شحس مشيط .

وجد آل عائض أن موقعهم في حرج وبلادهم في خطر إذ بنينا يتقدم إليهم جيش ابن مساعد من ناحية الشرق ويريدون ملاقاته إلا أنهم يخافون أن يوجها كاسل قوتهم إليه فيتقدم الأدرسي من الغرب وهم يملكون أطماع الأخير في عسير ويعرفون الاتصال والمراسلة بين الطرفين لذا فقد وجها قسماً من قوتهم رابطت في الجهة الغربية خوفاً من أي حادث يقع فيجلبهم في حيرة من أمرهم وقد خيروا هذا من تاريخهم ، وتعلموا درساً من ماضيهم ووجها القسم الثاني من القوة إلى الجيش المهاجم وكان قائدهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وكان عليهم أن يرابطوا في حصونهم المتينة ويحصنوا في قلاعهم الحصينة التي ظالموا حنتهم وقت الشدة ومنعتهم من خضوعهم ومن المصائب والنكبات إلا أنه على ما يظهر صعب عليهم رميهم بالجبن ولم يهزموا بعد أمام آل سعود والله هو المدبر ، وهو يحكم ما يريد .

- ٢٦١ -

- ٢٦٠ -

www.asirnet.net

خرج الأمير محمد بقوته من أبها واتجه نحو الشرق لملاقاة ابن مساعد والتقى الطرفان عند حجلة ودخل الجيش السعودي بمنعه عسير عن طريق بلاد بني مالك فوصلوا إلى أبها ولم تصدهم قذائف مدفعية قلعة ذرا بقيادة عائض بن عبد الرحمن ولا يزال محمد بن عبد الرحمن آل عائض في حجلة ووصل الخبر إليه أن أبها قد اجتمعت فحدث الفوضى والفزع وهام الناس على وجوههم وتبهم من بقي من الجيش السعودي في حجلة في وجههم فأصيب من أصيب وقتل من قتل ونجا من نجا وكان محمد قد جرح وفر الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وسار إلى القوات المرابطة في جهة الغرب حيث أسعف أما الأمير عبد العزيز بن مساعد فقد تقدم نحو أبها ودخلها دون مقاومة ، وكان الأمير حسن بن علي آل عائض في بلدة السقا واستمر القتال بينه وبين الجيش السعودي ما يقرب من شهرين يوماً ورغم ما حدث من استسلام بعض الجند والقبائل إلا أن الأمير ظل مع ٨٠٠ من رجاله معتمداً في حصنه .

بدأت المراسلات السليمة بين الأميرين ابن عائض وابن مساعد انتهت بنزول الأول إلى أبها واستسلامه وعندما أعلن ابن مساعد الغزو العام ، واستقبل وفود القبائل ، وأرسل وفداً إلى الأدرسي لتعديد الحدود بينه وبين عسير

عاد ابن مساعد إلى الرياض ومعه الأمير حسن وابن عبد محمد وبقية أبها تحت إشراف عبد الله بن أحمد بن مفرح .

جرى اتفاق في الرياض بين الملك عبد العزيز وآل عائض على أن تكون عسير مرتبطة إسمياً بنجد ، على أن تكون المساعدة والتجنيد وقت الضرورة وحين يطلبها ابن سعود ولم يكن الملك عبد العزيز يطعم آنذاك في ضم عسير لوجود ابن رشيد في حائل والشريف في مكة بناوكانه ولهذا كانت معاملته إلى آل عائض معاملة طيبة

عاد الأمير حسن بن علي آل عائض إلى أبها ومعه ابن عبد الأمير محمد بن عبد الرحمن على ما اتفقوا عليه مع الملك عبد العزيز آل سعود ..

كانت السلطة في أبها بيد آل عائض ، والسعوديون الموجودون في أبها ومنهم الأمير شويش يقدمون الاحترام للأمير حسن وبقي الأمر كذلك ما يقرب من ثمانية أشهر حتى شعبان ١٣٣٩ هـ حيث قتل الأمير شويش وجاء الأمير عبد الله بن سليمان من الرياض ولم يقل الوضع إذ اختلف ابن سليمان مع الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ لسياسة التسوية التي اتبها ابن سليمان مما جعل الشيخ يغادر أبها فمزل ابن سليمان واستبدل بالأمير فهد بن عبد الكريم العقيلي .. وتغيرت معاملة الأمير السعودي للأمير حسن فواجههم آل عائض بالأمم فما تغير الوضع . فاتجه الأمير حسن إلى حصن حرملة ولم تلبث مدة حتى شعر الأمير فهد بالقبائل تحيط بمدينة أبها وتحاصرها وكان على رأس الحركة الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وسعيد البطاط ،

- ٢٦٢ -

- ٢٦٢ -

www.asirnet.net

وزل الأمير حسن من حصنه في حرملة لقيادة الحركة واستمر الحصار عشرة أيام ثم تمّ الصلح على أن تغادر الحامية السودوية أبها وتنتقل إلى بلاد شهران وأن يشهد الأمير حسن بعدمس أحد من أفرادها بأذى ضمن حدود عسير ولا تمتدّي هي من جهتها على أحد من الرعايا التابعة لأمانة عسير .

غادرت الحامية أبها وانتقلت إلى بلاد شهران وعندما وصلت إلى خنيس مشيط استقبلها شيخ شهران سعيد بن مشيط ورؤساء قبائل يشة وشيخ قحطان ابن دليم . ورفع الأمر إلى الملك عبد العزيز بطلبون منه النجدة .

علم الأمير حسن ببقاء الحامية في خنيس مشيط فاعتبر أنها لاتزال ضمن حدود إمارته فتبعتها على رأس جيش من عسير واشتدّ الطرفان في معركة حامية وكانت النتيجة وقوع الحامية في يد الأمير حسن واستسلام سعيد بن مشيط وفرار رؤساء يشة فغاضبهم الأمير حسن وعاد إلى أبها أما الحيلة التي جاءت من نجد مدّة فقد لاذت بالفرار ، ماجمل الملك عبد العزيز بتأثر كثيراً ويماقب أفرادها ثم سارع بإرسال جيش كثيف على رأسه ابنه فيصل فوصل إلى يشة وتقدم نحو بلاد شهران وسارع أهل عسير بإمرة محمد بن عبد الرحمن السدي رابط في حجلة وأرسل قوة لمساندة حامية يشة وكانت قوات عسير قد وزعت في جهات عدة وبخاصة في الغرب خوفاً من كل طاريء يحدث أو من حركة يقوم بها الإدريسي .

- ٢٦٤ -

www.asirnet.net

الشريف حسين الذي كان قد وصل من مكة وعلى رأسه الشريف راجح والأمير محمد بن عبد الرحمن الذي سار إلى الحجاز - كما ذكرنا - بعد دخول الأمير فيصل أبها .

أما الأمير فيصل فيبعد دخوله أبها فنصب عليها الأمير سعد بن عفيصان وعاد إلى الرياض .

تركز الجيش الحجازي في بارق واتجه نحو السراة عن طريق قبة « ساقين » حيث تركّز في باحة تنومة ، فأرسل ابن عفيصان سرية بقيادة ابنه سليمان فالتقى بالجيش الحجازي الزاحف نحو أبها في بلاد الباسر في موقع « مسفرة » فاهزم الجيش السعودي وقتل قائده سليمان بن سعد بن عفيصان وعشق ابن شعلون وأسر محمد بن دليم وبعض أسراء قحطان ومحمد بن سعيد بن مشيط وتقدم الجيش الحجازي نحو أبها وعلى مقدمته الأمير حسن وابن عمه محمد بن عبد الرحمن فحاصر الجيش أبها ، واستسلمت المدينة واعتصمت الحامية السودوية في قصر شامدة عشرين يوماً ، وكانت أن تستسلم إلا أن النجدة جاءت من نجد ، وفي الوقت نفسه طلب الشريف حسين من جيشه الانسحاب من أبها والتوجه نحو الطائف لماواة بقية قواته التي تعصدهم هناك بالقوات السودوية وانسحب آل عافض إلى حرملة وأطلقوا سراح أسراهم .

توفي سعد بن عفيصان عام ١٣٤١ هـ وتولى إمرة أبها مكانه محمد بن جيلان واستمر في إمارته مدة ثلاثة أشهر حيث أبدل

- ٢٦٦ -

www.asirnet.net

وصل الأمير عبدالله آل عافض إلى رجال الملع عن طريق بلاد غامد وزهران ، ونزل عند شيخ قبائلهم إبراهيم بن الحسن عبد المتالي شيخ قبيلة قيس وأعطاه سره ، ومن هناك اتصل أيضاً ببقية مشايخ قبائل رجال الحجر وشهران وقحطان وعسير وغيرها ، وقد وجد عندهم الاستجابة والدمع .

فكر الأمير عبدالله آل عافض في طريق الحصول على السلاح الذي حُرّج من أهل عسير فكاتب الإمام يحيى حميد الدين فسي مناه فوعده بالدمع بعد خروج آل عافض في عسير وظهور قوتهم حتى لا يبقف أمامهم السعوديون وحده ضميعة فيما إذا كانت قوة آل عافض هزيلة ، إلا أن الأمير عبدالله آل عافض يريد الذخيرة واللاح قبل الخروج ليخرج بشكل قوي وهذا ما لم يتم له ممّا أوقعه في الحيرة وجعله يفكر في العودة من حيث أتى منتحلاً للملك عبد العزيز الأعداء لذهابه إلى عسير حيث يريد تفقد السنين ومن لا ميل لهم .

وإذا كان غياب الأمير عبدالله بن عبد الرحمن قد بقي سراً في الملكة إلا أنه ليس بسر خارجها ، فقد تكلست بعض الصحف العربية وبخاصة المصرية منها عن غياب عبدالله وكانت تتوقع بده حركته في كل يوم .

أما الملك عبد العزيز فقد هدد آل عافض الذين هم في قبضته إذا ما حدث شيء في عسير ومن ناحية ثانية فقد أرسل إلى عسير من يناشد الأمير عبدالله في حقّ دماء المسلمين .

- ٢٦٨ -

www.asirnet.net

تقدم الأمير فيصل بن عبد العزيز والتي في جنوب غربي يشة بقوة من بني شهر وغيرهم وجههم الأمير حسن فبدد الأمير فيصل شملهم في موقع المين وتابع زحفه حتى إذ وصل إلى خنيس مشيط التقي بالقوة التي تريد يشة فاقترع عليها وسار نحو الغرب فالتقى في حجلة بقوة عسير .

خافت إحدى القبائل على أوثانها فضلت مفادرة حجلة والدفاع عن موطنها من القوة السودوية التي أرسلت من تلك الجهات وبعد أن جرت معركة مريّة في حجلة استمرت يومين قتل فيها الأمير سعيد بن عبد الرحمن رأى الأمير محمد أن ينسحب بقية المرافقين إلى موطنهم وعاد هو إلى أبها بدون رجال ومنها سار إلى الحجاز يطلب النجدة كما سار الأمير فيصل إلى أبها ودخلها عام ١٣٤٠ هـ في غير قتال .

اعتصم الأمير حسن بحصن حرملة وجرت مراسلات بينه وبين الأمير فيصل إلا أنها لم تمل ثم إلى نتيجة فتقدمت سرية سودوية نحو حرملة واستطاعت دخولها بعد عدة مارك إلا أن الأمير حسن قد نجح بنفسه وأهله واتجه نحو الغرب

علم الإدريسي بخبر الأمير حسن فطلب من عامله على رجال ألمع مصطفى النعمي أن يتنقب الأمير حسن ويقتض عليه ويرسله إليه إلى سبأ أو يسلمه إلى الأمير فيصل إلا أن ابن عافض استطاع الإفلات من مصطفى النعمي ، والانضمام إلى جيش

- ٢٦٥ -

بالأمير عبد العزيز بن إبراهيم الذي استطاع أن ينزل الأمير حسن من حرملة إلى أبها ، وأن يزوره في قصره في السقا ، وتفاوض معه واتفق الاتفاقان بإرسال الأمير حسن إلى الرياض (١) مع كبار أسرته ومهم : الأمير محمد بن عبد الرحمن وناصر ابن عبد الرحمن وعافض بن عبد الرحمن وعبد الله بن عبد الرحمن وعافض بن عبدالله بن محمد وعافض بن علي بن محمد ومحمد بن ناصر بن عبد الرحمن ومحمد بن علي بن محمد وعافض بن عبدالله بن محمد ومحمد بن عبد العزيز العفادي شيخ قبائل غامد ومحمد بن مسلط الوصال .

حيث بقي الأمير حسن في الرياض حتى وافته الملة عام ١٣٤٧ هـ . وباستسلام الأمير حسن أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السودوية .

وفي عام ١٣٤٤ هـ خرج الملك عبد العزيز لأداء الحج وأخذ معه آل عافض الذين هم في الرياض . وفي مكة خرج عبدالله بن عبد الرحمن آل عافض فحسية واتجه نحو عسير عن طريق الطائف ، وقد التقي في طريقه في [له] شرقي الطائف بالشريف عبدالله بن حمزة العفر ، فأعطاه سره فوعده الشريف بالكتابة إلى الأمير عبدالله بن الحسين الذي آلت إليه إمارة الأردن لمساعدته بالمشغال السعوديين من الشمال في منطقة العقبة .

(١) وصل إلى الرياض في يوم كان جلالة الملك عبيد العزيز بعرض فيه على زوجة ابنه محمد بن طلال بن رشيد وربما كان هذا لسبب في خفة النعمة عليه .

- ٢٦٧ -

فكر الأمير عبدالله في طريق العودة بعد أن وجد سلبية إمام صنعاء ، واتجه عن طريق تهامة ، وسار معه عشرون رجلاً من رجال ألمع إلى القنفذة ، ونزل عند الشيخ محمد عبد شيخ قبائل البركة ، وبواسطة انتقل إلى محمد بن زهير أمير القنفذة من قبل الملك عبد العزيز ، وأعلمه الشيخ محمد عبد أن الأمير عبدالله لم يدّر في خلدته شيء ما يدعيه كثير من الناس ، وإنما جاء إلى عسير لتأمين بعض أهله من لا يتقدرون على شيء ، لمجزهم بسبب شيخوختهم وكثير منهم نساء .

إلا أن ابن زهير وجد في هذا فرصة مناسبة لإظهار الولاء للملك عبد العزيز فاحتجّه ، وأدعى أنه ألقى القبض عليه وثقل عبد الله بواسطة جماعة تحت الرعاية المشددة بأمره تركي المرزوق إلى مكة المكرمة .

أبقى الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك في الحجاز ابن عافض ومرافقه الخاص جباح بن علي العامدي بمكة حتى يأتي أمر والده الملك عبد العزيز بشأنها ثم جاء الجواب بإرسالها إلى الرياض وقد تم ذلك في مطلع شهر ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ . وبعد هذا انتهت كل محاولة لآل عافض في عسير .

- ٢٦٩ -

مؤرخ تاريخ عسير

أيام الرسول صلى الله عليه وسلم	
الصدى بن عبد الله الأزدي	١٠ - ١١ هـ
الطفاء الراشدون عبد الله بن ثور	١١ - ٣٤ هـ
الأمويون	ضمن ولاية مكة المكرمة .
العباسيون	تتبع ولاية مكة المكرمة .
خروج علي بن محمد بن	
عبد الرحمن	١٦٩ هـ
الطولونيون	٢٥٤ - ٢٩٣ هـ
العباسيون	٢٩٣ - ٣٣٠ هـ
الأخشيديون	٣٣٠ - ٣٦٢ هـ
الفاطميون	٣٦٢ - ٤٩٣ هـ
السلجوقيون	٤٩٣ - ٥٦٧ هـ
الأيوبيون	٥٦٧ - ٦٢٩ هـ
بنو رسول وبنو طاهر	٦٢٩ - ٦٥٠ هـ
المالكي (أحياء بنو طاهر	
باسم المالكي (٦٥٠ - ٩٢٣ هـ
المثانيون	٩٢٣ - ١٠٣٨ هـ

- ٢٧٠ -

www.asirnet.net

- ٢٧١ -

المخاتمة

وأخيراً فإن هذه البقعة الخيرة من الأرض إذا ما وجهت إليها الأنظار ، ومدّت فيها المواصلات ، وأقيمت فيها المشروعات ، وأعدت فيها وسائل الراحة كانت مركز خير وسعادة لأهلها ، ولما يأتيها بسبب ما وهبها الله من مناخ عذب ، ومناخها من مناظر أختاذة ، وما أعطى أهلها من صفات طيبة وما هداهم إليه من عقيدة سمحة، فهم للضيوف أهل، يبيدون استئثار الزوار ويعرضون على خدمتهم وتأمين راحتهم ، وهذا ما لاحظناه في عاداتهم الاجتماعية .

وبهذه الصفات ظن تكون بلادهم كالمصايف الأخرى مجالا وبهذه الصفات ظن تكون بلادهم كالمصايف الأخرى مجالا للكثير من الأعمال التي تأتي أخلاقنا أن تكون

وعندما تصبح عسير مصايف الجزيرة فإن المنطقة تستبد ، وسنحفظ على أبنائنا أخلاقهم ، ويحفظون أموالهم لأنفسهم وهنا ما نرجو بل هذا ما نتنظره في المستقبل وننظر إليه في الخيال والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

- ٢٧٢ -

www.asirnet.net

- المراجع -

- ١ - البداية والنهاية
 - ٢ - الدول الإسلامية
 - ٣ - الدولة السعودية الثانية
 - ٤ - الكتوف الجغرافية - حقيقتها
 - ٥ - إمكانية التنمية الزراعية
 - ٦ - الوحي في سيرة الملك
 - ٧ - تاريخ عسير
 - ٨ - تاريخ الخلاف السليمانى
 - ٩ - تاريخ نجد
 - ١٠ - تاريخ البلاد العربية السعودية
 - ١١ - جيزر العرب في القرن العشرين
 - ١٢ - جغرافية شبه جزيرة العرب
 - ١٣ - خمسون عاما في جزيرة العرب
 - ١٤ - ديوان ابن مشرف
 - ١٥ - رحلات في عسير
 - ١٦ - شبه الجزيرة في عهد الملك
 - ١٧ - صفة الجزيرة العربية
 - ١٨ - غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة البرق البعاني
- (قطب الدين محمد بن أحمد
النهر والى الكي)

- ٢٧٣ - (وزارة المعارف - المكتبات المدرسية)

١٨	موقع عسير في شبه جزيرة العرب	١٩ - في بلاد عسير	فؤاد حمزة
٢٢	معدل الأمطار السنوي	٢٠ - في ربوع عسير	محمد عمر رفيع
٢٥	أودية جنوبي تهامة عسير	٢١ - في سراء غامد وزهران	حمد الجاسر
٣٠	أودية تهامة عسير الوسطى	٢٢ - قلب جزيرة العرب	فؤاد حمزة
٣٢	مجرى وادي يثينة الأعلى	٢٣ - لعل الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب	تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكم
٣٤	وادي يثينة في مجراه الأوسط والأسفل	٢٤ - مجلة العرب التي صغر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر	باشرف حمد الجاسر
٣٦	أودية عسير	٢٥ - مذكرات سليمان شفيق الكعالي	سليمان شفيق الكعالي
٦١	توزع بطون قبيلة عسير	٢٦ - مذكرات جعفر الحفظي	جعفر الحفظي
٧٨	المراكز البشرية عند قبيلة عسير	٢٧ - مسند الإمام أحمد	الإمام أحمد بن حنبل
٨١	الأودية في بلاد رجال ألمع	٢٨ - معجم البلدان	ياقوت الحموي
٨٣	توزع قبائل رجال ألمع	٢٩ - مقاطعة جازان - المعجم الجغرافي	محمد بن أحمد العقيلي
٩٢	المراكز البشرية في بلاد رجال ألمع	٣٠ - ملحمة عيد الرياض	يونس سلامة
٩٥	أودية تهامة عسير	٣١ - نجد وملحقاته	أمين الريحاني
٩٦	قبائل تهامة عسير	٣٢ - نفحات من شعر عسير	من قصائد أسلاف آل الحفظي
١٠١	بلاد رجال الحجر		
١٠٤	بلاد شهران		
١٠٨	بلاد قحطان		

- ٢٧٥ -

- ٢٧٤ -

www.asirnet.net

١٤٦	الفصل الثالث : في العصور الحديثة	المقدمة :	٣ - ٨
٢٤٧	نهاية الاثراك	الباب الأول :	٩ - ٤٢
٢٤٩	الفصل الرابع : الاستقلال	الفصل الأول : التقاريس	١١
٢٦٨	موجز تاريخ عسير	الفصل الثاني : المناخ	١٩
٢٧٠	الخاتمة	الفصل الثالث : المياه والأودية	٢٣
٢٧١	المراجع	الفصل الرابع : النبات والحيوان	٣٧
٢٧٣	فهرس المصورت	الباب الثاني :	٤٣ - ١١١
٢٧٤	فهرس الموضوعات	الفصل الأول : نسب السكان	٤٤
		الفصل الثاني : قبيلة عسير	٥٤
		الفصل الثالث : رجال ألمع	٧٩
		الفصل الرابع : رجال الحجر	٩٧
		الفصل الخامس : شهران	١٠٢
		الفصل السادس : قحطان	١٠٥
		الباب الثالث :	١١٢ - ٢٥٩
		التاريخ	
		الفصل الأول : بلاد عسير في العصور الإسلامية	١١٣
		الفصل الثاني : أيام الضعف	١٢٨

- ٢٧٧ -

- ٢٧٦ -

www.asirnet.net